تاريخ القديس مار مرقس البشير



كامل صالح نخلة

مكتبة المحبة

تأليف
صالح كامل نخله

تاريخ القديس مارمرقس البشير

كاروز الديار المصرية

وتأسيس الكرسي الإسكندري





قداسة البابا شنوده الثالث
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد أمين

مقـــــدمة

لقد كتب تاريخ مرقس البشير الكثيرون من قبلى وأخصهم جمعية الرابطة المسيحية التى وضعت أول مؤلف لهذا التـاريخ ، ولحقها الأستاذ حبيب جرجس مدير الكلية الإكليريكية ثم القمص إبراهيـم إبراهيم ، راعى كنيسة حـارة السقاريين . ولكن لاحظت أن هذه المؤلفات الثلاثة لم تكن حاوية لكل صغيرة وكبيرة لتاريخ هذه القديس العظيم ، وغير شاملة لكل ما يتعلق بتأسيس الكرسى الأسكندرى الرسولى ، فآليت على نفسى بنعمة الله أن أقوم بوضع سيرة كاملة شاملة تحوى أخبار هذا البشير القدير والشهيد الكبير بقدر المستطاع ، ولعلى أكون وفقت فى هذه المهمة .

ولقد سهل على هذه المأمورية الشاقة العلامة الفاضل والبحاثة المدقق الأستاذ جرجس فيلوثاوس عوض بوضع أبحاثه ومكتبته الثمينة تحت تصرفى ، كما سمح لى حضرات أصحاب القداسة البطاركة الثلاثة الأخيرين المثلث الرحمة الأنبا يؤانس التاسع عشر والمثلث الرحمة الأنبا مكاريوس الثالث والمالك سعيداً الأنبا يوساب الثانى يجعل مكتبة الدار البطريركية بالقاهرة تحت متناول يدى وكذا الأرخن الشماس مترى خريستو ناظر كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويلة ، فقد سمح باطلاعى على كتب مكتبة الكنيسة القيمة ، فانتقدم

لحضراتهم جميعاً بواجب الشكر والعرفان بالجميل لأنهم أعانونى على أن أستقى من هــذه المصـادر الذهبية كل الأخبــار والحـوادث الواردة فى هذا الكتاب .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لتقديم وافر شكرى لمكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة لتفضلها بالقيام بطبع ونشر هذا الكتاب .

وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خير بيعته الطاهرة آمين .

الشماس
كامل صالح نخله الأسكندرى

مايو ١٩٤٩ بشنس ١٦٦٥

تمهيد

الأسكندرية : نشأتها وتاريخها ومركزها

العلمى والتجارى

قبل البدء فى كتابة تاريخ الكاروز العظيم القديس مرقس البشير والشهيد الطاهر يجب أن يكتب تاريخ الأسكندرية العظمى من جهة تأسيسها ومركزها الجغرافى والعلمى والتجارى قبيل إنتشار المسيحية فى مصر ليكون القارىء ملماً بالحالة التى كانت عليها أول مدينة عظمى بشر فيها هذا العلامة الفيلسوف ، وهى تعد عروس الشرق كله ومهد المدينة ومنبع أستقى منه المتعطشون مناهل العلم والفلسفة والأدب ، وكعبة حج إليها الفلاسفة والعلماء الذين رغبوا فى التحلى بمدنيتها الراقية . تلك المدينة التى حل فيها ذلك البشير القدير وأصبحت بفضله وعزة خلفائه من أعظم المدن العاملة على إنتشار الدين المسيحى ورفع شأنه فى سائر العالم ومحاربة الهرطقات والقضاء على البدع بهمة هؤلاء الخلفاء الذين تتبعوا خطواته وعملوا بإرشاداته حتى جعلوها مطمح أنظار جميع علماء وفلاسفة الشرق والغرب ، الذين وفدوا إليها من كل صوب وبقعة للإستضاءة بنورها والإهتداء بهديها .

(١) تأسيس المدينة

فى شهر يولية من سنة ٣٣٢ قبل الميلاد بعد حصارسبعة شهور سقطت مدينة صور فى أيدى الأسكندر الأكبر المقدونى ، ولم تلبث كل سوريا الجنوبية أن يكون لها هذا المصير ، وبذلك تمكن الفاتح القدير من القيام بغزو مصر وإخضاعها تحت سلطانه وإستخلاصها من يد الفرس .

وكان اوخوس الذى يعرف أيضاً باسم أرتاكسرسيس الثالث قد أخضع هذه البلاد منذ بضع سنوات بعد أن ذاقت طعم الإستقلال مدة نصف قرن وظلت البلاد المصرية تذكر الفظائع التى أتاها أولئك الفرس العتاة وقت الفتح .

وفى شهر ديسمبر سنة ٣٣٢ دخل الأسكندر البلاد المصرية التى تشغل فى الشرق مركزاً جغرافياً عظيم الأهمية لأنها تحوى حلقة الإتصال الوحيدة التى تجمع بين الشرق الأقصى وبلاد البحر الأبيض المتوسط ، كما أنها تجمع بين دفتيها العلوم الراقية والمدنيات المتقدمة والثروات الغنية .

وحينما دخل الأسكندر بن فيليبس ملك مقدونيا هذه البلاد قابله سكانها بكل ترحاب كمنقذ لهم من ذل الإستعباد ، وكمحرر لهم من نير الإستبداد لأنهم كانوا قد سأموا حكم الفرس الجائر فأحلوا الأسكندر فى المكان الأول من قلوبهم وأجمعهم على حبه لأنه نجح فى استمالة هذاالشعب له خصوصاً عندما أظهر إحترامه وحبه للديانة المصرية وآلهتها ، ولما حاز لقب « ابن آمون » بعد إستشارته الوحى فى معبد آمون فى واحة سيوه أصبح الشعب المصرى الكريم يعتبره فى منزلة الفراعنة ملوك مصر الأقدمين .

وعقب عودة الأسكندر من سيوه أعجبه موقع مدينة راكوده ، ومعناه حسب رأى بعض العلماء « حصن الإله رع » وكان هذا الفاتح يعتقد أن المدينة على

الشاطىء الشمالى الغربى لمصر يكون موقعها مدهشاً لتركيز تجارة البحر الأبيض واوربا فيها . وظهر له أن الرأس المقرن التى تفرق بين مينائين طبيعيين ومتصل فى الجنوب بالنيل بوساطة بحيرة مريوط والفرع الكانوبى هى العقبة التى تصلح لتحقيق أغراضه . وقد أمر جنوده بتخطيط سور المدينة بالجير والدقيق المستعمل لغذائهم ، وكلف المهندس المعمارى المشهور دينو كراتيس بعمل تصميم المدينة الجديدة وإدارة العمل فيها ، وفعلاً شرع فى الحال فى إخراج المشروع إلى حيز العمل . وقضى الأسكندر فى مصر فصل الشتاء ثم بارحها لأنه كان يرغب فى الإسراع باتمام فتوحاته فى آسيا فتقدم بجيشه المنتصر حتى وصل الهند ثم عاد إلى بابليون فى ٣٢٣ ق . م . حيث مات . وبناء على رغبته نقل جثمانه إلى المدينة التى تحمل أسمه وهى إسكندرية القطر المصرى حيث أقيمت له جنازة عظيمة ، ووضع الجثمان فى مكان يدعى الصومعه ومعناها الجسد داخل تابوت من ذهب نقى ، ثم نقل إلى تابوت بللورى ثم إختفى أمره إلى وقتنا هذا . وقد أرشد العلماء فى أبحاثهم إلى أن مكان الصومعة هو طابية كوم الديماس ومسجد النبى دانيال . ويبلغ محيط المدينة نحو أربعة فراسخ وقسمت فى أول الأمر إلى أربع قطع ، يفصلها عن بعضها طريقان عموديان لقطرى الدائرة وخططت شوراعها وحواريها بترتيب هندسى منتظم . وكانت قلعة راكوتيس تكون الربع الغربى . وكان يقطنها أهل المدينة الأصليين . والحى الملكى المسمى البروخيوم يقع فى الجهة البحرية ويشمل كل الشاطىء المحصور اليوم بين شارع شامبوليون إلى طرف رأس لوكياس وأطلق على الحى الجنوبى أسم حى أون أو الشمس .

ولم يكد يتم تشييد المدينة حتى وافاها قوم من محبى التجديد من إسرائيليين ويونانيين وأسيويين يمثلون كل الدول المعروفة . أما الوطنيون

المصريين فاكنوا يعتقدون أنها بلد أجنبية وابتعدوا عنها وحصروا إقامتهم فى مدينتهم الأصلية راكوتيس . وهذا الخليط من الأجناس كون شعباً محموماً ميالا إلى الإندفاع .

وفى ظرف عشرات السنين من تاريخ تأسيس مدينة الأسكندرية أمكن لهذه المدينة أن تكون مركز تجارة العالم كله ، والمركز الوحيد أو أحد المراكز المهمة للمدينة الإغريقية فى العصر اليونانى ، والتى لبثت أكثر من ثلاثة قرون أغنى وأعمر مدن العالم أجمع .

والنمو السريع لهذه المدينة جعل الناس يعزون إنشاءها إلى إلهام من وحى الفاتح ، إذ يقال إن الأسكندر لما أستتب له الأمر فى منف تتبع الشاطىء للوصول إلى واحة أمون (سيوه الآن) فلفت نظره الوضع المدهش لقرية راكوتيس أمام جزيرة فاروس ورأى بثاقب نظره صلاحيته لإنشاء ميناء بحرى منه يتصل بباقى العالم .

وقد كان يجاور الأسكندرية فرع من فروع النيل السبعة وهو الفرع الكانوبى ، وسمى بإسم مدينة كانوبى التى تبعد عن الإسكندرية بنحو ستة عشر ميلا وهى المعروفة الآن بإسم ضاحية أبى قير . وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه ليست عين صقر الفاتح المكدونى هى فقط التى دعته إلى إختيار نقطة أقصى غرب الدلتا لإنشاء مدينته الجـديدة عليهـــا ، بل أن قربها من نوكراتيس الواقعة قرب دسوق الآن ونشاط تجارة هذه الأخيرة هما اللذان دفعاه إلى هذا الإختيار .

ونوكراتيس هذه هى مدينة أغريقية كائنة فى دلتا مصر على الفرع البولبتينى وهو فرع رشيد الآن قد أسسها بسامتيك الأول فى سنة ٦٥٠ ق . م . فى مكان قرية « بى أبروا » الوطنية وهذه البلدة إستعمرها أولاً المليزيون الذين

نزحوا من مدينة ميليت بأسيا الصغرى الكائنة على شاطىء كاريا الغربى . ولما أغلق الفرعون امازيس فوهة الفرع الفرماوى أو البوليزياكى فى وجه اليونانيين تحول كل التجار عنه وتركزوا فى نوكراتيس التى إحتكرت النقل البحرى ، وقد إشتهرت هذه المدينة بصناعة الأواني والزهريات وتجارة الزهور وبغانياتها الفاتنات . وكانت متصلة بسايس بترعة ، وكان لها نظام الحكم الفردى وكان تأسيس الإسكندرية ضربة قاضية عليها فلم تقم لها قائمة منذ العصر البطليموسى بعد أن كانت من المدن الكبرى المزدهرة .

وكان الإسكندر نفسه ينتظر بلاشك أن تصبح مدينته عاصمة العالم الأغريقى أجمع وكان يعتقد أيضاً أن موقعها المختار أمام جزيرة فاروس يفضل بكثير عن موقع مدينة كانوبى المزدهرة القريبة أيضاً من نوكراتيس حتى أن سكان كانوبى نفسها أقدموا بعد التشجيع على ترك مدينتهم القديمة والسكنى فى المدينة الجديدة .

٢ – نظام الحكم فى العاصمة الجديدة

قبل مبارحة الأسكندر الفاتح القطر المصرى أقام على مصر من قبله الأمير اليونانى أقليومينيس اللوكراتبنى حاكماً على مصر ، فأحسن إدارة البلاد ونظم ماليتها وقام بسرعة فى تنفيذ مشروع إنشاء المدينة الجديدة ، إلا أنه فى وقت وفاة الفاتح سنة ٣٢٢ ق . م لم تكن الأعمال تقدمت فيها كثيراً .

ولما تعين القائد بطليموس بن لاغوس شريكاً فى الحكم على مصر مع اقليومينيس عقب وافــاة الإسكندر قــام هذا القــائد على شريكه وقتله للتخلص من مزاحمته .

ثم بعد أن تمكن بطليموس من مناوئيه وتخلص من كل معارضيه أستقل بعرش مصر فى سنة ٣٠٦ ق . م . وتولى الملك بإسم بطليموس سوتير الأول وأسس العائلة المالكة اليونانية فى مصر وسميت سلالته فى التاريخ بسلالة البطالسة أو اللاجيديين وتولى منها ٢١ ملكاً ، ودام حكمهم مدة ٢١٥ سنة .

وكانت مملكة البطالسة فى عهده تشمل وتمتد الديار المصرية والأقاليم السورية وشواطىء البحر الأحمر وجزر المدن اليونانية وبحر ايجه وبحر مرمرا والبحر الأسود .

وجعل البطالسة مدينة الأسكندرية عاصمة للديار المصرية ومقراً لكرسى ملكهم فأخذت المدينة تنو عمرانياً وتجارياً وعلمياً وأمتد عمارها فى عصرهم إمتداداً عظيماً . وقد بلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة وكانت تحوى القصور الفاخرة ، كما كان يقيم فيها الحرس الملكى القوى .

٢ – تاريخ عهد البطالسة فى مصر

كان يحكم العاصمة الملكية قبطان المدينة الذى كان فى أول الأمر لا يباشر عمل وظيفته إلا أثناء غياب الملك عن المدينة إلى أن إنتهى الأمر به أن أصبح عمله مستديماً ، ومع الزمن إستبدلت إدارة المدينة العسكرية بالنظام المدنى وصار للمدينة عمدة يتولى رئاسة البوليس .

ولم يكن للأسكندرية فى عصر البطالسة مجلس بلدى ، بل كان يسهر على المدينة ومصالحها الكاهن الأعظم الذى يتولى رئاسة ديانة الأسكندر ، وكان يحمل اللباس الأرجوانى ويمثل التقاليد الوطنية .

وكان من بين كبار الحكام المختصين بإدارة المدينة أو القائمين بشؤون تختص بالمملكة كلها القاطنين فى هذه المدينة خلاف الكاهن الأعظم رئيس القضاة والسكرتير العام والحارس الليلى والضابط المالى ورئيس الجمناز .

وفى سنة ٢٨٥ ق . م . إتصلت جزيرة فاروس بالعاصمة الجديدة بتشييد رصيف بينهما .

وكانت سنوات حكم بطليموس الأول الأخيرة هادئة سالمة ، فتفرغ لتجميل عاصمة ملكه ودعا إلى الإسكندرية العلماء والفلاسفة ووضع أسس مكتبة عامة وجامعة علمية عرفت بإسم الرواق فلم تتوان الإسكندرية فى أن تصبح وطن الفنون والآداب وهيكل العلوم والفلسفة .

وقد أشرك معه فى الحكم الأبن الذى رزق به من إمرأته الرابعة برينيس الأولى فى سنة ٢٨٥ ومات بعد ذلك بسنتين .

ولم تتم عمارة المدينة فى أيام بطليموس لاخوس الأول رغم الهمة التى بذلها فى سبيل ذلك بل تمت فى عهد بطليموس الثانى (٢٨٥ - ٢٤٦ ق . م .) وأصبحت فى عصره العاصمة التى شاد بذكر جمالها المعاصرون ، لأن هذا الملك لم يدخر وسعاً إلا بذله فى العمل على رفاهية البلاد وأكمل عمل الأسكندر العمرانى كأمير مجدد لا كمحارب ، وكان يعتقد أنه لإنماء التجارة يجب إعداد الطرق المأمونة المنتظمة فأخذ فى تصليح الطرق القديمة التى كانت توصل فقط وبحر النيل بالبحر الأحمر ثم بنى مينائى برنيقه (وهى بنى غازى الآن) وميوس هرموس وبذلك أمكنه إجتذاب تجارة العالم إلى عاصمته الأسكندرية .

ولما تولى بطليموس الثانى المدعو فيلادلفوس الملك بعد أبيه سوتير إهتم بأمر العلم وحقق أغراض والده ، فنقل إلى الإسكندرية مدرسة عين شمس المشهورة فقصدها من الأقطار الأجنبية عدد عظيم من طلاب العلم للارتواء من بحار علومها الصافية والتزود من موارد فنونها الراقية والإنتفاع بمكتبتها العامة حتى أصبحت الإسكندرية كعبة العلم والأدب .

ومن أشهر أعماله العلمية إهتمامه بترجمة التواره أى العهد القديم من

العبرية إلى اليونانية فاستدعى لهذا الغرض سبعين شيخاً من العارفين باللغة اليونانية فأتموا فى عهده هذه الترجمة ، وعرفت بإسم الترجمة السبعينيه وصارت المرجع الصحيح الذى يعتمد عليه الباحثون فى أصول الدين فى كل إختلاف إلى يومنا هذا . وقد أدى بطليموس بهذا العمل الجليل أجل خدمة للعالم أجمع ، ويعود إليه أيضاً الفضل فى إقامة منارة الأسكندرية الرخامية وفى إستخدام سفينة فى السياحات الإستكشافية التى مكنته من إنشاء المستعمرات على الساحل الغربى من خليج أرابيا وبحر اريتريه .

أما بطليموس الثالث المدعو افرجيت فقد حارب ملك سوريا إنتصاراً لشقيقته برينيس زوجة أنطيوخس الثالث وأخضع آسيا الغربية ، وأعاد من فارس خلاف الغنايم الحربية تماثيل الآلهة المصرية التى نهبها داريوس وقمبيز من مصر .

وكان البطالسة الثلاث الأول من أعظم الملوك وأسخى الكرماء ، جمعوا فى شخصياتهم حسن الذوق وكياسة السياسة فقاموا – بلا حساب للنفقات – بتشييد عدد عظيم من المعابد الضخمة والمبانى العامة والمشاهد الفخمة وإستدعوا إلى الإسكندرية لهذا الغرض أحسن الصناع وأمهر الفنانين وأعظم المهندسين وأكبر المعماريين فى ذاك العصر .

وكان بطليموس الرابع ملكاً متهاوناً منغمساً فى ملذاته وإشباع شهواته فأخذت فى أيامه أسرة البطالسة فى الإنحطاط ، ومع ذلك كان محباً للظهور والعظمة فقام بقسط وافر فى تجميل المدينة .

وقد دل على نشاط هذا الملك من الوجهة المعمارية حجر أساس معبد سيرابيس وإيزيس الذى إكتشف فى مكان بورصة طوسون الحالى ورغم أن تفانى هذا الملك فى عبادة الإله ديونيسيوس ، وكذا بالرغم من ضعف إرادته

كمصلح دينى الذى تجلى فى الآثار العامة فإنه قد خلف من الآثار القائمة للآن هيكل أدفو الذى أتم خلفاؤه بناءه من بعده .

وبعد زمن قليل من وفاة بطليموس فيلوباتور (٢٠٥ - ٢٠٤ ق . م .) ثارت مدينة الأسكندرية على أغاتوكليس الذى تولى الوصاية على القاصر بطليموس الخامس والذى طغى على العاصمة والقطر كله ، ولكن جمال الأسكندرية الخارجى لم يتأثر من هذا العصيان .

وفى أثناء الحرب الأهلية التى قامت بين بطليموس فيلومتور وبطليموس افرجيت الثانى (١٧١ - ١٧٠ ق . م) حاصر أنطيوخس ملك سوريا الأسكنرية للمساعدة فى إعادة الملك إلى فيلومتور ، وقد أدى هذا الحصار إلى حدوث مجاعة فى المدينة دون أن تحصل فيها خسائر تذكر ، لأن أنطيوخس إنسحب لعدم نجاحه فى إقتحام أسوار المدينة .

وقد لطخ بطليموس الحادى عشر إسمه بالعار عندما قام بإنتهاك حرمة مقبرة الأسكندر الأكبر للإستيلاء على النعش الذهبى ، وقد أثار هذا الحادث الجيش فخلعوه من الملك فى سنة ٨٨ ق . م . ومات مقتولاً فى سوريا .

ولم تكن الحروب والقلاقل التى ثارت بين أفراد العائلة المالكة حائلاً دون تقدم عمران المدينة حتى أنه عندما تدخل الرومان فى الخلاف الذى كان قائماً بين كليوبترا وبطليموس الرابع عشر أخيها وزوجها بلغت الأسكندرية ذروة مجدها العظيم .

وقال المؤرخ ديودوروس الذى عاصر بومبيوس : « لم يكن فقط الأسكندر بل أن غالبية الملوك خلفاءه فى مصر إلى يومنا هذا هم الذين زينوا مدينة الأسكندرية بالإنشاآت الفخمة التى أضافوها إلى قصورهم المدهشة . وأخذت المدينة تتسع فيما بعد حتى أقر جميع النـاس على أنها المدينة الأولى فى

العالم ، وقام البطالسة بإصلاح الأبنية التى هدمها الفرس وخلدوا عملهم هذا بحفر أسمائهم على الآثار فى تنيس والأقصر والكرنك وفيله . وكان وصول يوليوس قيصر إلى مصر فى سنة ٤٩ ق . م . عندما كان يقتفى مع الملكة كليوبترا ابنة بطليموس المدعو ديونيسوس ملك مصر نصرها على بطليموس الثانى الذى أخذه أسيراً .

وكانت كليوبترا شابة ذات جمال رائع فأحبها قيصر وتزوجها ومنحها مملكة مصر وقد أنجب منها ولداً سماه يوليوس قيصر كما دعوه أيضاً قيصريون تمييزاً بينه وبين أبيه فى الأسم ، وشيد قصراً فخماً ومبنى بديعاً أطلق عليه إسمه وإسم ابنه قيصريون ، تحول فيما بعد إلى كنيسة على إسم القديس ميخائيل رئيس الملائكة فى عصر الأمبراطور قسطنطين الكبير (يوحنا النقيوسى فصل ٦٣ ص ٤٠٦) .

وعندما أسترد بطليموس حريته بناء على إلحاح الأسكندريين ورغبتهم لم يتأخر عن التحول ضد يوليوس قيصر ، ولما رأى هذا الأخير ورجاله أنهم حوصروا فى داخل التياترو وفى جزء من البروخيوم الحى المجاور للقصور الملكية ، اضرم النار فى السفن المصرية التى كانت راسية فى الميناء الشرقية ، وأتصلت النار بالمدينة وخربت عدة مبانى هامة ، وقد نفى بصفة قاطعة بأدلة تاريخية ثابتة وشواهد طوبوغرافية أمر وصول الحريق إلى المكتبة الأصلية وظهر أن الذى تناوله التلف من جراء هذا الحريق هو بضع مخازن كتب كانت موضوعة قرب الميناء .

ويقول يوحنا النقيوسى فى تاريخه إن كليوبترا كانت سيدة بارعة بصفاتها الخاصة وبأعماله الموسومة بالحزم والجرأة والقوة ، ولم يقم أحد من الملوك الذين سبقوها بأعمال عظيمة غيرها فلقد شيدت فى مدينة الأسكندرية قصراً بديعاً

وفخيماً ، أبهر نظر كل من رآه لإنه لم يقم قصر مثله فى سائر العالم ، وقد أقامت هذا القصر على جزيرة كائنة بحرى الأسكندرية وغربيها تبعد عن المدينة نحو أربعة أميال ، وبواسطة الأحجار والرمال أقامت حاجزاً صدت به مياه البحر ومهد طريقاً يابساً للراجلين بعد أن كانت تمخر فيه السفن ، وقد كانت تستعين فى أعمالها الإنشائية بمعونة عالم عبقرى يدعى دكسيفانوس ثم قامت بعد ذلك بحفر قناة لغاية البحر تجلب المياه العذبة من النيل للمدينة وسهلت وصول المراكب إليها وكانت تقوم بهذه الأعمـــال بكرم لصالح المدينة العظمى قـاعدة مملكتها ، ولغاية وفاتهـا كـانت تؤدى أعمالاً نافعة بكثرة وافرة وتتشيء المعـاهد الهامة وكانت هذه المرأة العظيمة الأثر أكثر حكمة من سائر النساء (فصل ٦٧ ص ٤٠٧) .

وبعد أن كانت كليوبترا زوجة ليوليوس قيصر وأنجبت منه قيصريون أخضعت لسلطان جمالها وحسن سياستها مارك أنطونيوس العاهل الرومانى الذى أنحدر من علياء مجده إلى أن صار عبداً لهذه المرأة الجريئة ذات المكر والدهاء السياسى ، ولم يقل إمتيازها فى الجمال الرائع عن شهرتها فى الطموح والإستئثار بالحكم لشدة تعلقها بوطنها المصرى والرغبة فى الإحتفاظ بسلطانها ونفوذها على البلاد .

ولقد قـام أنطونيوس قيصر بزيـادة ثروة المدينة بأن جلب إليهـا كل الآثار العظيمة التى أستـولى عليهـا من المـدن اليونـانية فـازدانت بها المدينة مدة من الزمن .

وقد مـاتت الملكة كليوبترا فى السنة الرابعة عشر من حكم أوغسطس قيصر الذى تولى الأمبراطورية الرومانية من سنة ٢٣ ق . م . إلى سنة ١٤ ميلادية (يوحنا النقيوسى فصل ٦٧ ص ٤٠٧) .

ولما أستولى اوكتافيوس أوغسطس قيصر على مدينة الأسكندرية فى سنة ٣٠ ق . م . لم يكتف برد هذه الآثار إلى مدنها الأصلية التى نهبت منها بل أنه أخذ إلى رومه غنائم حربية قيمة ورغم ذلك فإنه أجتهد فى العمل على نمو الأسكندرية وتوسيعها بإنشاء ضاحية نيكوبوليس أو يوليوبوليس (وهى ضاحية الرمل الآن) حيث أسس فيها ألعاب الخمس سنوات تخليداً لذكرى إنتصاره على مارك أنطونيوس كما قام أيضاً بتشييد الإنفتياترو والأستاد (المدرج) .

٤ – العلوم والآداب فى الأسكندرية

قام الملوك البطالسة بتوجيه وتركيز كل الحركة العلمية والأدبية فى هذا العهد فى مدينة الأسكندرية عاصمة مملكتهم الجديدة فأنشأوا لهذا الغرض معهدين ، أستحقوا من أجلها الثناء الخالد والعرفان بالفضل من جميع ذوى الفكر وهما الرواق والمكتبة وحديقة الحيوان والنبات الملحقه بهما .

وكان بطليموس الأول أول من فكر فى مشروع هذين المعهدين العظيمين ووضع الخطوط الرئيسية لهما ، ولكن نسب غالباً فضل وشرف تنفيذ مشروع هذين المعهدين إلى بطليموس الثانى فيلادلفوس الذى لم يكن له إلا أن يتابع المشروع الأصلى ويدخل عليه التحسينات اللازمة أثناء تنفيذه .

أما الذى أوحى إلى بطليموس سوتير بهذه المؤسسات العلمية فهو ديمتريوس الفاليرى التلميذ القديم للعلامة تيوفراستوس . وكان من الرجال الأفذاذ وكانت له ميزات خاصة وإستعداد مشهور كما كان خطيباً مؤثراً ومقنعاً ومنظماً حسن الفكر ، وبعد أن ظل عشرة سنوات معلم أثينا طرد منها وإختفى حتى ظهر فى سنة ٢٩٦ ق . م . فى البلاط البطليموسى .

أما فكرة جمع عدة من العلماء وإيجاد مكتبة تحت تصرفهم فقد كانت من بنات أفكار ديمتريوس ، ولقد سبق إطلاق أسم الأروقة على المدارس البيتاغوريستيه فاتخذها ديمتريوس ، نموذجاً متسعاً وأنشأ فيها معهداً غريباً لم يكن الغرض منه قاصراً على نشر بعض الآراء الفلسفية بل يشمل السير بجميع العلوم بخطوات سريعة فى طريق الرقى والنجاح .

٥ – الرواق أو جامعة الأسكندرية

أشتهرت الأسكندرية بمدرستها الجامعية التى عرفت بأسم الرواق الأسكندرى والتى فاقت مثيلاتها فى العلوم الفلكية والفلسفية والرياضية والجغرافية والتاريخية والآداب اللغوية .

ويمكن مقارنة هذه المدرسة بالجامعات الأوربية بل إنها امتازت عنها بأن كان أساتذتها يعيشون فيها مثل الطلاب الجامعيين لأنهم لم يكونوا ملزمين بالقيام بالتدريس بل كانوا مكرسين كل وقتهم للدرس والبحث والمشاهدة أكثر من أى شيء آخر . وقد قال العلامة مهافى (Mahaffy) : « ويظهر أن الملك ووزير المعارف أسسا معهداً يشبه كثيراً كلية اكسفورد أو كمبردج القديمة دون أى نوع آخر من المعهد » .

ويقول استرابون إن القصور الملكية تشمل الرواق الذى يحتوى على إبهاء واسعة وقاعة محاضرات وميدان فسيح وحجرة كبيرة يتناول فيها اللغويون التابعون للرواق الطعام فى هيئة شركة . وكان مخصصاً لتموين هذا المعهد أموال عامة ، كما كان له كاهن خاص يعينه الملك . وكان هذا الكاهن يشغل وظيفة رئيس لهذا المعهد . وكان الملك يعين أعضاء المعهد لآجال محدودة . وكانت مدة القيام بالعمل معلقة على رغبة وارادة المليك ، وقد أكد البعض أن الرئيس الكاهن كان في الوقت نفسه كاهناً لسيرابيس ورئيساً لأحبار الأسكندرية دون تقديم أى برهان قاطع يؤيد ذلك بل بالعكس ظهر أن كاهن الرواق الذى لم يكن مصرياً يوماً ما لايختلف عن أقرانه كهنة باقى الطوائف اليونانية الأخرى .

وبالإختصار لم يكن كاهن الرواق سوى رئيس المعهد الذى أسندت إليه رئاسته ، ويظهر أن علماء الرواق كانوا مقسمين إلى جماعات شبه أخوية ممتازة حسب طبيعة أعمالهم . وكانوا يقبضون من الخزانة الملوكية مرتبات مقررة علاوة على ما يخصهم من الأنصبة من إيرادات الأموال العامة حتى يضمنوا مصاريف المأكل والملبس فيكرسوا كل نشاطهم نحو الدرس والبحث العلمى الخاص . ولم تكن مهمة التدريس شرطاً أساسياً إلزامياً لهم وكانت تتوافر أيضاً فى الرواق كل الوسائل التى يمكن الإحتياج إليها فى سبيل البحث والدرس والملاحظة والفحص العلمى العملى ، فضلاً عن تيسير المعيشة واستتباب السكينة وتوفير الراحة التامة وعدم الإنشغال بالأمور المادية والإحاطة بجو ثقافى واسع المدى ونظام علمى صافى .

وكل ما يقال عن الرقى العلمى فى مختلف الفنون والعلوم ، الذى تحقق على يد علماء الرواق وكذا ما يقال عن إستمرار هذا الرواق قائماً ومؤدياً مهمته الثقافية والفلسفية والعلمية بعد حياة البطالسة ، لفيه الأثبات الكافى على

إعتراف المدينة له بالفضل والدليل المقنع على سمو الغرض الذى أنشىء هذا المعهد من أجله ، والبرهان الساطع على مدى ما أداه من جليل الأعمال فى خدمة العلم . وكذلك أحسن العالم تقدير ما قدمته الأسكندرية من الخدم للفن الدراسى من تنظيم وحفظ وتفسير لأن العصر الأسكندرى كان عنوان مجد خالد وفخر زائد فى التقدم العظيم المدهش الذى حققته دراسة عناصر الطبيعة وسائر العلوم المحضة فضلاً عن العلوم اللغوية وآدابها .

ويكفى الفخر بأنها كان من علماء مدرسة الأسكندرية الجامعة بطليموس الفلكى صاحب كتاب المجسطى والقواعد الأولية التى وضعها هذا العالم وهى المتخذة للآن عند المسيحيين قـاعدة لإستخراج الأعيـاد المتنقلة وعند الشرقيين منهم على الأخص . وكان هذا العـالم مصرى الجنس من سكان مدينة القرما (بور سعيد الآن) . وابراتوسطنيس (٢٧٤ - ١٩٤ ق . م .) العالم الرياضى والفلكى الجغرافى فإنه قام بوضع الأساس فى تاريخ علم الجغرافية بتحديده خط نصف النهار الأرضى وبوضعه خريطة جغرافية للكرة الأرضية بالرغم عما فيها من عيوب وإغلاط لم يمكنه تفاديها فى ذاك العصر . واريستارخوس الفلكى الشهير الذى كان أول من نادى بأن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس فى الوقت ذاته ، وأن الأرض هى فقط أحدى كواكب المجموعة الفلكية التى تتوسطها الشمس ، واكليدس الذى وضع كتاب الأصول فى عهد بطليموس الأول وقد ظل هذا الكتاب إلى وقتنا هذا كتاب الهندسة الأكثر إنتشاراً . وارشميدس الذى أكتشف العلاقة بين القطر والدائرة ، ونظرية الخط اللولبى ، وقانون الثقل ، والقاعدة المائية التى تسمح بتحديد الثقل النوعى للأجسام . وقام هذا العلامة بمطابقة أكتشافات النظريات العلمية على الميكانيكا . فالآلات التى صنعها قد أثارت إعجاب معاصريه إلى أقصى الدرجات وابوللونيوس

لبيرجاوى مؤسس حســاب المثلثات وثيوفراستوس مؤسس علم النبــات وايراسيستراتوس مبدع علم التشريح وقد تخرج من هذه المدرسة أطباء كانت لهم ميزة الإعتبـــار الأول بين أطبـــاء ذاك العصر حتى أصبحت الثقة فى كفاءة الطبيب يكتسبها صــاحبها بمجرد أن يكون من خريجى مدرسة الأسكندرية .

وبطليموس الأول كان الأول فى قائمة المؤرخين وقد ألف كتاباً فى حياة الأشخاص (الميامر) وهيكاته الأبديرى كتب تاريخ مصر وتاريخ الإسرائليين فى الأسكندرية . وزينودوتوس كرس حياته لوضع مؤلف نقدى لتصانيف هوميروس كما أن تلميذيه اريستوفانيس واريستارخوس وضعا تاريخاً للأدب التراجيدى والكوميدى .

وقد تخرج على يد كليماخوس أمين المكتبة وشاعر البلاط الذى أمتاز شعره فى الرثاء أمثال هرميبوس مؤرخ الفلاسفة وإيستروس العالم الأثرى وابوللونيوس الأسكندرى اللغوى الشهير ، وارتوستنيس العالم الرياضى والجغرافى وكان حجة فى التاريخ والفلسفة ، وثيوكريتوس الشاعر الذى أشتهر فى المديح والهجو ، وفى إنشاد الراعاة ووصف الخيال الريفى .

٦ – المكتبة

لا توجد أدلة على أن مكتبة الأسكندرية كانت عند إنشائتها مستقلة عن الرواق ، بل أن الغرض منها كان مد علمائه بالمصادر والأدوات والآلات التى تستدعيها أبحاثهم وتسهل عليهم مهمتهم .

ومن المحقق أن مكتبة الأسكندرية لم تكن الأولى من نوعها فى تاريخ الوجود فى العالم القديم لأنه عدا المكتبات التى ثبت وجودها فى عصر الفرعونية توجد

مكتبة نينوى التى أشتهرت بحسن ترتيبها وقيمتها الثمينة ، كما أن التقليد الأدبى ينبىء علاوة على ذلك بمجموعات كتب بوليكراتوس عاهل ساموس ومجموعة بيزيستراتوس الأتينى ومجموعة كليارخوس الهرائلى ومجموعة ديموستين ، والأشهر من كل ذلك مجموعة اريسطوطاليس .

ولكن إذا كانت مكتبة الأسكندرية هى الأولى فى تاريخ المكتبات العامة المنظمة فإنها كانت بلا شك أكبر وأثمن وأهم مكتبة عرفها العالم الدراسى القديم . ففى أيام بطليموس الأول جمع ديمتريوس الفاليرى مائتى ألف كتاب ، وفى آخر أيام بطليموس فيلادلفوس الذى أشترى مجموعة أريسطوطاليس قيل إنه كان فى المكتبة الأصلية أو مكتبة البروخيوم أربعمائة ألف مجلد متداخل وتسعين ألف مجلد مفرد ، وفى الوقت ذاته كان فى ربيبتها مكتبة السيرابيوم التى صارت لها أهمية كبرى فى العصر الرومانى نحو أثنين وأربعين ألف وثمانمائة مجلد تنازلت لها عنها مكتبة الرواق ، ويمكن أن تكون هذه الكتب من النسخ المزدوجة التى يستغنى عنها أو تكون من باب الإحتمال مجموعة ملفات بسيطة معدة لأستعمال الجمهور الذى لا يمكنه الإنتفاع بها من المكتبة الكبرى .

وأستمر افرجيت بطليموس وخلفاؤه يغنون هذه المكتبة بكل كتاب أو ملف يمكن الحصول عليه حتى أصبحت مكتبة عظمى لا تضارعها أية مكتبة أخرى فى العالم فى ذاك العصر وبعده بزمن طويل .

وكان أول مدير لهذه المكتبة زينودوتوس الأفسسى وكان يساعده فى أمانة هذه المكتبة أسكندر الأيتولى الذى قام بترتيب التمثيليات المحزنة (الترجيدى) وليكوفرون الكلسيسى الذى قام بترتيب الروايات المضحكة (الكوميدى) .

وقد خلف زينودوتوس فى أمـانة المكتبة كليماخوس القرينى الذى قام بوضع فهرس مرتب للمكتبة أطلق عليه إسم الجـداول وحوى ١٢٠ ملف من الورق البردى .

وخلف كليماخوس على أمانة المكتبة ايراتوستينيس .

٧ – حديقة الحيوان والنبات

كان من أشهر تحف الأسكندرية التى أثارت إعجاب الأجانب حديقة الحيوان الملحقة بالقصر الملكى ففى هذه الحديقة جمع البطالسة أغنى مجموعة وقتئذ من الحيوانات النادرة والمتوحشة من ثعابين ونعام وغزلان وأفيال الخ . وكان بجانب حديقة الحيوان هذه حديقة النبات والأشجار أهتم بها العلامة تيوفراستوس وكرسها لأبحاثه الخاصة بوظائف النباتات (والفسيولوجيا) ، وبواسطتها أمكنه أن يؤسس علم النبات .

أشهر الآثار الأخرى فى مدينة الأسكندرية

ومن أشهر الآثار فى العاصمة البطليموسية خلاف ما تقدم من أعمال البطالسة كانت الصوما وهى عبارة عن الهياكل البديع الذى يحوى جسد الفاتح الكبير الأسكندر الأكبر المقدونى مؤسس مدينة الإسكندرية وهى تقع الآن فى موقع مسجد نبى الله دانيال بكوم الديماس .

ومعبد سيرابيس كان من أهم وأعظم الهيا كل فى الثغر الأسكندرى ويقع مكانه فى منطقة عامود السوارى المعروف بأسم عامود بومبيوس الآن ، ومنارة الأسكندرية التى أشتهرت بها ميناء الإسكندرية هى منارة عظيمة عدها العلماء إحدى عجائب الدنيا السبع ، وكانت تهتدى بها السفن التى تمخر البحار ليلاً وتقصد ميناء الأسكندرية حيث كان ضوء نارها المشتعلة طول الليل يرشد هذه السفن إلى دخول الميناء بسلام .

وقد شيد هذه المنارة بطليموس الثانى بمعرفة الجنيديان سوستراتوس على شكل برج رخامى إرتفاعه ١٣٥ متراً يوقد على قمته شعلتان تظلان تضيئان فى الظلام طول الليل ، وهى أول منارة من نوعها أنشئت لإرشاد السفن فى العالم وقد أقيم هذا البرج المنير على جزيرة فاروس ، وقد أشتق من أسم هذه الجزيرة كلمة فارو اليونانية وفنار العربية .

٩ - الأسكندرية وقت ظهور المسيح

ذكر العالم فيلون الفيلسوف الأسرائيلى الشهير أن الأسكندرية فى زمانه كانت عبارة عن خمسة أقسام أطلق عليها أسماء الأحرف الأولى الخمسة للأبجدية اليونانية وهى وذلك فى أوائل الحكم الرومانى .

ويقول يوسيفوس بن كريون المؤرخ الإسرائيلى المشهور إن اليهود كانوا يقطنون فى أقسام المدينة ماعدا القسم الذى أطلق عليه حرف « الدلتا » ، وهذا القسم واقع بعد البروخيوم على ساحل البحر شرقاً .

ويذكررون أيضاً أن اليهود كانوا فى وقت إقامة المسيح على الأرض كثيرين حتى خصصوا لهم حيين من أحياء المدينة الخمسة .

ولما ماتت كليوبترا فى سنة ٣٠ ق . م . منتحرة انقرضت أسرة البطالسة ، فكان بانقراضها إنتهاء حكم الدولة اليونانية فى مصر بعد أن ظلت فيها نحو ثلاثة أجيال .

وبإنتهاء الدولة اليونانية إنتهى الدور الثالث من تاريخ مصر ، وابتدأ الدور الرابع أو الدور المسيحى الذى أطلق على الدور الرومانى فى مصر بأكمله .

وبعد إنتحار كليوبترا وقتل قيصريون ابنها من يوليوس قيصر آل أمر مصر إلى أغسطس قيصر فأجاز للمصريين المحافظة على عاداتهم وديانتهم ، ولم يغير شيئاً من شرائع البلاد ونظامها السياسى والمالى الذى وضعه البطالسة ،

ولكنه ساوى بين اليونانيين والوطنيين فى الحقوق بعد أن كانت لهم إمتيازات الفريق الحاكم . فكان أهل « الدلتا » راضين عنه قانعين بما منحوا ، لاسيما وأنه وكل أمرهم إلى نائب حكيم حازم إسمه قورنيليوس غالوس فأصلح وعدل . على أن أهل الصعيد طمعوا فى الإستقلال وثاروا عليه حيناً لكنهم لم يلبثوا أن خضعوا له صاغرين ولما أستتب له الأمر رغب فى الأنفراد بحكم القطر فعزله أغسطس وولى غيره فثار الأسكندريون على هذا الوالى ولكنه أخضعهم .

وفى عهد أغسطس ولد السيد يسوع المسيح فى قرية بيت لحم اليهودية .

ولما بلغ من العمر سنتين أتت به أمه مع يوسف النجار إلى مصر وأقامت فيها أربع سنــوات ، تجوب به البــلاد من موضع لآخر حتى وصلت به إلى قسقــام على حسب التقليد .

ومات أغسطس قيصر سنة ١٤ بعد الميلاد وخلفه طيباريوس قيصر وكان والياً على مصر ظالماً ، فأثقل كاهل المصريين بالضرائب حيناً إلى أن أمره طيباريوس بتخفيضها ففعل .

ثم إرتقى العرش الرومانى قاليغولا قيصر سنة ٣٧ للميلاد فاضطهد اليهود كثيراً واقتدى واليه فى مصر به فسامهم عذاباً أليماً وجردهم من إمتيازات كان قد خصهم بها أغسطس وذبح منهم خلقاً عديداً وحدثت فتنة بين اليهود واليونانيين فى الأسكندرية فى سنة ٤١ للميلاد على عهد قلوديوس قيصر فقتل من الفريقين كثيرون . وطالب اليهود القيصر بحقوقهم التى نزعت منهم على سلفه فأعادها لهم وأستتب بذلك الأمن وتحول الوالى إلى الأصلاح ونشر المعارف وتشجيع الصنائع وتوفير وسائل الأتجار مع الهند وسائر البلاد الشرقية .

وفى السنة الثانية من حكم نيرون (سنة ٥٥ بعد المسيح) أعتدى اليهود ثانية على اليونانيين واقتتل الفريقان طويلاً ، وفى السنة السابعة من حكم هذا الأمبراطور أتى مرقس البشير إلى البلاد المصرية ليبشرها بالأنجيل المقدس .

وقد استخلص تاريخ الأسكندرية منذ تأسيسها إلى وقت مجيء القديس مرقس مما كتبه العلامة برشيا أمين المتحف الروماني الأسكندرى فى كتابه دليل المتحف وما سطره يوحنـــا النقيوسى فى « تاريخه » ، وما كتبه عن مدينة الأسكندرية العلامة بوتى ، وما كتبه العلامة جرجس فيلوثاوس عوض فى مجلته القبطية وأبحاثه الأخرى ، وتعتبر هذه الفذلكة مقدمة تـــاريخية لازمة تمهيداً للدخول فى تاريخ القديس مرقس البشير وكرازته فى الأسكندرية التى صـــارت مقر الكـــرازة المرقسية إلى وقتنا هذا ، حتى يقف القـــارىء على ما كـانت عليه هذه المدينة العظمى من الرقى العلمى والأدبى والتجارى فيدرك مقدار المهمة العظمى التى القيت على عاتق هذا الفيلسوف العظيم والكـــاروز القدير ، ويوزن بميزان الحق مقـــدار ما بذله من مجهود فى سبيل نجاح كرازته وإنتصاره الباهر على علمـــاء وفلاسفة الأسكندرية ، وكسب قضية المسيحية ، ونشر تعاليمها فى البلاد المصرية على أساس متين ، ظل ثابتاً وخالداً إلى هذا اليوم .

دخول الديانة المسيحية

أرض مصر

تاريخ مرقس البشير

كاروز الديار المصرية

ومؤسس كنيسة الأسكندرية

وأول بطاركتها

الفصل الأول

الديانات التى كانت بمصر
قبل المسيحية

لما فتح الرومان مصر أى قبيل ظهور المسيحية فى العالم كان لليونان واليهود ، وهما العنصران السائدان بالبلاد المصرية فى ذلك الوقت ، مركز ممتاز بها تبعاً لمصالحهم التجارية والعلمية .

وكان عدد اليونانيين بالأسكندرية كبيراً وكذا اليهود الساكنين فيها وفى بابليون وفى مقاطعة هليوبوليس ، وبقدر ما كان اليهود متمسكين بديانتهم بقدر ما عرف اليونان ديانتهم الوثنية لأن إحترامهم للملوك كان أعظم من إحترامهم للآلهة . أما ديانة مصر القديمة التى دامت نحو الخمسين قرناً فقد عفت وحلت محلها ديانة وثنية محضه ، وذهبت بذلك الصفات الدينية والأدبية التى تحلى بها ملوك وحكماء الفراعنة الأقدمين ، ولم يبق سوى الكهنة يعتقدون بإله حى مصدر كل خير وأما باقى الآلهة فإنها مظاهر لجلالته الألهية .

وعند ظهور المسيحية كان هناك ، فضلاً عن الديانة التى يدين به اليهود شيعتان وثنيتان متعارضتان ، فاليونان المسخرون بخرافات الفراعنة والمصريون

الكارهون لوثنية اليونان ، حتى أن آلهة هؤلاء لم يكن لها من يعبدها خارج الأسكندرية كأنها لم تكن من مصر .

فتبشير الناس إذاً بعبادة إله واحد هو قضاء على آلهة البلاد وآلهة اليونان على السواء .

(الأثر الذهبى لعطيه وهبى – ترجمة مرقس البشير)

الفصل الثانى

مرقس البشير

إن إسم هذا التلميذ الطاهر هو يوحنا ويلقب بمرقس . وهو من أصل يهودى لأن أسلوب إنشائه مليء بالعبارات العبرانية . وهو أحد أولئك الفلاسفة الكبار والرجال العظام الذين أختارتهم العناية الإلهية وملائتهم من مواهب الروح القدس ، ليس لينذروا ويعملوا ويكرزوا فى العالم فقط بموجب شريعة النعمة ، بل ليحرروا أيضاً فى كتاب الإنجيل الإلهى التعاليم والشريعة التى أستودعها يسوع المسيح له المجد فى كنيسته المقدسة . وهو من الكاروزين الذين لم يذوقوا طعم الراحة إذ أنه بعد أن عاصر السيد المسيح وعاشر الرسل فى أورشليم ورافقهم حيناً من الزمن لم يبق فى أورشليم بل بذل كل همه فى التبشير والكرازة ، فلم يعط لجنبه راحة وطاف البلاد الكثيرة وأختلط بالعلماء حباً فى العلم وميلا منه إلى نشر الكلمة فذهب إلى آسيا ثم إلى قبرص ثم إلى أنطاكية ثم إلى أفريقيا .

هذا هو أحد الإنجيليين الأربعة ، وهو الذى دخلت على يديه الديانة المسيحية ديار مصر فى القرن الأول الميلادى ، وكانت بلاد مصر وقتئذ فى أوج الثقافة العلمية ، ومدارسها كعبة آمال الفلاسفة من كل صوب . وقد أسس فيها كرسياً رسولياً عظيماً بين الكراسى الرسولية فى المسيحية جمعاء ، وهو الذى تحققت على يديه نبوة إشعياء النبى القائل : « اليوم يكون مذبح فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخومها » .

واليكم تاريخ حياته بالتفصيل :

١ - عائلة مرقس البشير .

كان هذا القديس من الشعب اليهودى ، وكان لاوياً منحدراً من والدين يهوديى الأصل كما شهد بذلك بيدا المكرم (مروج الأخبار ص ٢٣٣ وابن المقفع كتاب ١٢ ص ٣١ V) ويدعى أبوه أرسطوبولس وأمه مريم . وكان والداه على جانب عظيم من التقوى والصلاح ، متمسكين بشريعة أجدادهما واستوطنا بادىء الأمر فى بلدة ابرياتولوس بإقليم الخمس المدن الغربية (ابن المقفع كتاب ١٢ ص ١٣ V) ويظهر أن إسم هذه المدينة محرف من لفظة اترنابولوس على وجه التحقيق قام بتحريفه النساخ . وهى مدينة ادرنابوليس أو درنه من مدن ليبيا القرينية ، وهى ميناء واقعة فى جونية على البحر الأبيض المتوسط فى إقليم طرابلس الغرب بالقارة الإفريقية على حدود القطر المصرى . وكان هذا الأقليم تابعاً لحكم مصر اليونانية والرومانية وقالوا إنها اقرنابوليس أى القيرين Cyrenne . وهى غير مدينة درنه الواقعة فى شمــال شاطىء قرينية فى أفريقيا .

وكان والدا مرقس يشتغلان بالزراعة ومعدودين من ذوى اليسار إلا أنه قد أغارت إحدى قبائل البربر على مدينتهما فى زمن حكم أغسطس قيصر فنهبت أهلها وسبت منهم خلقاً كثيراً ، ومن بينهم والدى القديس مرقس .

وبعد أن فقدا ثروتهما فى هذه القــارة الإفريقية إضطرتهما الحاجة إلى ترك البلاد فهجراها إلى بلاد اليهودية فى أرض فلسطين وأقاما بالقرب من أورشليم ، وسكنا فى قاناً الجليل موطن أجدادهما القديم فى وقت ظهور السيد المسيح على الأرض (ابن المقفع كتاب ١٢ تاريخ ص ١٣ V) .

وقد أقلقت أخبار ولادة السيد المسيح العالم الإ سرائيلى واضطربت له كل اليهودية وتبلبلت أفكار علماء إسرائيل وشيوخهم والعقلاء منهم حتى أن هيرودس

الكبير ملك اليهود نفسه أخذته الدهشة والحيرة وامتلاء خوفاً ورعباً حينما سمع من المجوس خبر ولادة يسوع المسيح العجيب ، وكذلك سكان أورشليم اضطربوا حينما سمعوا بولادة المسيح مت ٢ :٣ ولبثوا جميعاً ينتظرون ما يكون من أمر هذا المولود العظيم وكان الرسول سمعان بطرس متزوجاً من اسطرابوله ابنة عم أو ابنة خال ارسطوبولس والد القديس مرقس (ابن القفع ص ١٣ V) وكان أيضاً القديس برنابا شقيق والدته كما أعلن ذلك بولس الرسول فى (كولوسى ٤ : ١٠) ولكنه فى الحقيقة ابن عمه . وكان عمه يدعى توما وقيل إنه خاله وبرنابا عمه كما قيل أيضاً إنه إبن عمه . وهذا الإختلاف ناشىء عن التعبير بالخال والعم بلفظ واحد باللغة اليونانية وكذا التدليل بأولاد العم وأولاد الخال بكلمة واحدة بتلك اللغة ، وقد قام العلامة جرجس فيلوثاوس عوض بعمل بحث دقيق لترجمة النص الوارد فى كولوسى ووصل بحثه إلى أن برنابا هو ابن عم مرقس وليس خاله أو شى آخر من القرابة .

وتلخص هذا البحث كالآتى : -

« قال ابن كبر فى الباب الرابع من كتاب مصباح الظلمة إن مرقس ابن أخت برنابا المذكور فى رسالة قولوصايص صار أسقفا على ابللونيا فى الخمس المدن الغربية (ص ٤٦ B) غير أنه يلاحظ أن الآية التى جاء فيها ذكر مرقس فى (لوقا ٤ : ١٠) جاءت فى القبطية واللاتينية مخالفه لما نقله ابن كبر. فإنها فى القبطية كتبت هكذا .

وهى « يسلم عليكم مرقس ابن عم برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا إن أتى إليكم فاقبلوه » .

وفى اللاتينية مرقس ابن عم برنابا وكذلك اليونانية توافق تماماً القبطية كما وجدت فى نسخ قديمة فهى تعنى ابن العم كما جاءت فى المعجمات اليونانية الفرنسية وفى القبطية ابن عم ابن عم فى طبعة باريس سنة ١٨٩٢

وفى الميمر يقول : مرقس ابن عم برنـــابا (٣٤ و ٣٥) غير أنه فى بعض النسخ قد ترجمت هذه الكلمة بــابن أخت ، وعلى ذلك كتبت فى الترجمة البيروتية للأنجيليين « مرقس ابن أخت برنــابا » وكذلك فى نسخة إنجليزية يونانية

« Marcus Sister's Son To Barnabas » ولكن طبعـــة الفولجـــات Vulgate « تتفق مع القبطية فتقول « Mark The Cousin Germain of Barnabas » .

وفى ترجمة اليسوعيين ذكر . « نسيب برنابا » بدلاً من « ابن عم » والغالب فيه أنه ابن عم لا ابن أخت كما جاء فى بعض النسخ لأن كما جاءت فى سفر العدد بمعنى ابن العم لا ابن الأخت (٣٦ : ١١) عندما كان يتكلم على بنات صلفحاء وزواجهن لبنى عمومهن فى الترجمة السبعينية أما ابن الأخت فلها كلمة خاصة بها وهى ابن الأخت بولس وتقابلها بالقبطى (٢٣ : ١٦) والفرق بين الكلمتين ظـــاهر ، وقد ترجمت رســـالة بولس إلى قولصـــايص منذ العهــد الأول فلم يستعملـــوا كلمة سوى ابن العــم وعلى ذلك يكون برنابا ابن عم مرقس بكل تحقيق » اهـ

وقال الأنبـــا يوســـابأسقف فوه فى التـــاريخ المنسوب إليه إن مرقس هو : « ابن أخت توما التلميذ وأبوه ابن عمه ارسطـــابوله زوجة سمعـــان بطرس تلميذ الرب وكان أبوه ارسطـــابولس وعمه برنابا من أعمال الخمس المدن الغربية (ص ٤ R) .

وقال الشيخ المؤتمن أبو المكـــارم سعد الله بن جرجس بن مسعود فى كتابه الذى ألفه فى القرن العــاشر للشهــداء وطبع منه جزءاً بأوروبا ونسب خطأ إلى

أبى صلح الأرمنى ما يأتى : « تفضل مصر عن غيرها من سائر الأقاليم بحلول سيدنا المسيح بها بالجسد والسيدة الطاهرة مريم والشيخ الصديق يوسف النجار بأمر من الله ، مرقس الإنجيلى التلميذ بالأسكندرية وهو ابن أخت اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء بأورشليم » (صفحة ٢٠ B) ومن أقوال هذا العلامة يكون اسطفانوس خاله وبالطبع اخاتوما ، وهذا مخالف لإجماع المؤرخين على أن مرقس يهودى الأصل ومن سبط لاوى .

ويخالف هؤلاء المؤرخين فى آرائهم هذه الأنبا ساويرس أسقف نستراده فى الميمر الذى وضعه فى القرن التاسع بأن أبا مرقس لم يكن إسرائيلياً بل من الأمم ، وأمه فقط يهودية ولم يرتكن فيما يدعيه على سند تاريخى بل يقول فى ميمره إنه رأى الكـاروز فى رؤيا فأملى عليه بما كتب ولم يقره على ذلك أحد من العلماء (الميمر المطبوع من ١١ إلى ٢٤) . وقال هذا الأسقف أيضاً فى ميمره المذكور إن أم مرقس ودعاها بإسم حنه وليس مريم سلمته إلى خالها المدعو اسطو فتعلم الفرنجى والعبرانى والرومى (الميمر ٢٦ و ٢٧) وأنه لما قام يوحنا البشير التلميذ الحبيب بأمر من السيدة العذراء مريم أم المخلص بعماد حنة وأبنها يوحنا غير إسمها إلى مريم وإسمه إلى مرقس (الميمر ص ٢٩) ثم قال إن مريم أم مرقس سلمته إلى برنابا ابن أختها (الميمر ص ٣١) ولكن كل ما أورده هذا الأسقف فى ميمره ما هو إلا من خيال أفكاره مخالفاً لأقوال المجمع على صحتها من المؤرخين الصادقين ، ولذلك لم يعتمد أحد على تصوراته هذه ، وقد رؤى ذكرها هنا حتى لا يقع فى خطأها أحد من المهتمين بتاريخ البشير مرقس كاروز الديار المصرية .

٢ - تاريخ ومحل ميلاد البشير

لم يعرف بالتحقيق تاريخ ميلاد القديس مرقس البشير ولا إسم البلدة التى ولد فيها فيعتقد علماء الشرق أنه ولد أدينابوليس قبيل هجرة والديه من بلاد المغرب ويعتقد علماء الغرب أنه ولد بأورشليم عقب وصول والديه إليها والمرجح أن ولادته تمت فى الغرب كما جاء فى كتب التاريخ القبطية وفى القاموس اللاهوتى تأليف برجيير طبع باريس سنة ١٨١٦ المجلد الخامس . وعلى أى حال فقد كانت ولادته بعد ظهور السيد المسيح على الأرض بوقت قليل وتعتقد الكنيسة القبطية كما هو وارد فى كتب سيرالبطاركة إنه ولد فى أدرنابوليس بالخمس مدن الغربية (ابن المقفع كتاب ١٢ تاريخ ص ١٢ V) وهى درنه الحالية أو درنيس (Darna) أو (Darnis des Anciens) وهى ميناء داخل جونيه على البحر الأبيض المتوسط فى أرض ليبيا القريتية (لاروس القرن العشرين ص ٧٨٤ جـ ٢) .

وروى ابن كبر أن المنبجى ذكر فى تاريخه أن مدة سنى مرقس البشير منذ ميلاده إلى حين شهادته تبلغ ٨٩ سنة وخمسة شهور (مصباح الظلمة ص R ٣٦٣) ، وعلى هذا الفرض يكون سن مرقس وقت ميلاد المسيح ٢١ سنة ، لأن المجمع عليه من المؤرخين أنه إنتقل من هذا العالم فى يوم ٢٦ إبريل سنة ٦٨ م وأن مدة إقامته على الكرسى الأسكندرى هى سبع سنين وثمانية شهور ويوم واحد على ما ذكره ابن كبر ، وبذلك يصبح أيضاً تاريخ إبتداء كرازته فى سنة ٤٠ للتجسد أى عندما كان عمره ٦١ سنة وأن دخوله الإسكندرية لأول مرة كان فى سنة ٦١ عندما كان يبلغ عمره ٨٢ سنة ، وهذا قول يخالف المجمع عليه بأن مرقس كان شاباً وقت القبض على السيد المسيح لصلبه مع أنه على رواية

المنبجى يكون عمر مرقس وقت الصلب مساوياً لعمر السيد المسيح وهو ٣٢ سنة مضافاً إليه عمر مرقس قبل ميلاد المسيح وهو ٢١ فيكون مجموعه ٥٤ سنة وهذا غير صحيح أيضاً ولا يوجد سند تاريخى له بل إنه فى الحقيقة مخالف للواقع وأن حقيقة عمره وقت صلب السيد المسيح كان أقل بكثير من عمر السيد نفسه له المجد ، ولا يعرف بالتحقيق تاريخ ميلاده ولكنه كما دلت عليه الحوادث كان بعد ميلاد يسوع المسيح ببضع سنوات على المشهور .

٣ - نشأته وتعليمه

نشأ هذا القديس نشأة صالحة فى أحضان والدين تقيين وترعرع فى نعمة الروح القدس فألم منذ صباه بشريعة موسى والأنبياء وحفظ كتب العتيقة والنبوات ، وبالاجمال فقد تهذب فى الشرع الموسوى وتعلم شريعة آبائه إلى أن إنضم سمعان بطرس فى سلك تلاميذ السيد المسيح .

ولما آمن سمعان بالسيد المسيح وتتلمذ له كان القديس مرقس بسبب رابطة القرابة من جهة وقرب السكن من جهة أخرى يتردد على بيت سمعان بطرس الذى تبناه بعد وفاة أبيه وتلقن منه التعاليم المسيحية ، كما كان يلم أولاً بأول بأخبار السيد المسيح وتعاليمه ومعجزاته ، فامتلأ قلب مرقس إيماناً بالسيد له المجد وإعترافاً بألوهيته فنهج على منهاج بطرس وآمن بإيمانه وإعتنق المسيحية قبل والده ، وبعد ذلك إستمر فى إتصاله بالقديسين بطرس نسيبه وبرنابا ابن عمه حتى صار بطرس يدعوه فى رسالته الأولى الجامعة ولده الحبيب . وقال ابن كاتب قيصر فى تفسير أعمال الرسل إن قوماً قالوا إن مرقس كان ابن سمعون وقصدوا بذلك أبنه الروحى (ص ٢١٩ B) .

وتلقى مرقس من بطرس وبرنابا المصادر الأصلية للتعاليم المسيحية الصحيحة وإزداد نعمة فى الإيمان وأشتد حباً بالسيد المسيح حتى صار من أوائل من تطوعوا لنشر كلمة الخلاص بين الأمم .

وقال الأنبا بطرس الجميل أسقف مليج وكاتب السنكسار فى تذكار يوم ٣٠ برموده ما يأتى : « فالرسل كانوا يصلون فى بيت مريم أم يوحنا المدعو مرقس وكانت الأم موسرة فعلمت إبنها مرقس اليونانية والأفرنجية (أى اللاتينية) والعبرانية ، وهكذا قال شمس الرئاسه ابن كبر فى الباب الرابع (ص ٤٠ B و ٤١ A) .

٤ – إتصال مرقس بالسيد المسيح

كان القديس مرقس بكراً وعاش بتولاً وعاصر السيد المسيح كما تقدم بيانه ورآه رؤية العين ولذا لقبته الكنيسة بناظر الإله (المجمع فى الخولاجى المقدس) وكان أحد السبعين الذين إنتخبهم السيد المسيح وأرسلهم أثنين أثنين إلى كل قرية كان مزمعاً أن يأتى إليها (مر ١٠ : ١٠) ، وكانوا يلقبون بالثاوفوروس أى حاملى الإله .

وقد إشترك مرقس مع الرب يسوع فى عرس قانا الجليل الذى عمل فيه الرب أولى معجزاته حيث حول فيه الماء إلى خمر (يو ٢ : ١ – ١١) .

وقد أجمعت التقاليد المسيحية على أن الرب يسوع المسيح كان يتردد على بيت مرقس و هو بيت سمعان القيروانى ، وإن مرقس هو نفس الرجل الذى أشار إليه السيد المسيح بقوله للتلمذين « أنكما تجدان رجلاً حاملاً جرة ماء فأتبعاه حيث يدخل وقولا لرب البيت أن المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذى » (مر ١٤ : ١٣ و ١٤ ، لو ٢٢ : ١١) وقد أكل السيد المسيح الفصح فى بيت مرقس كما كان مرقس هو نفس الفتى الذى هرب عرياناً مع تلاميذه فى ،

وقت القبض على السيد المسيح ليلة الصلب (مر ١٤ : ٥١ و ٥٢) (ابن المقفع ص ١٥ R وابن كبر ٤٠ B و ٤١ A) .

وقد أيد ذلك كله ما جاء مفصلاً فى تـــاريخ البطـــاركة للعلامة ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمـــونين وابن كبر وغيرهما من المؤرخين والمفسرين وكتاب السير .

وفى إحدى غرف منزل مرقس حل الروح القدس على التلاميذ فى يوم الخمسين لما كانوا يجتمعون فيه أيضاً (أعمال ١٤ : ١٢) .

ولقد أصبح هذا البيت الكريم أول كنيسة مسيحية فى العالم ، وأيد ذلك التقليد الوارد فى جميع سنكسارات الكنائس المسيحية على إختلاف مذاهبها . وأطلق عليها فيما بعد إسم بيعة صهيون ، وذكرها أبو المكارم سعد الله فى كتاب تاريخ الكنائس قائلاً : « بيعة صهيون بها غرفة كبيرة عظيمة كان التلاميذ مجتمعين فيها حتى حل عليهم الروح القدس وتذرعوا بالقوة وتكلموا بكل لسان ، وأن الملكة هيلانة هى التى أمرت بإنشائها وهى التى غسل فيها السيد المسيح أرجل تلاميذه ، وفيها أكل الفصح مع تلاميذه على مائدة الفطير ، وفيها تنيحت السيدة العذراء ، وكانت لنيقوديموس فى قرية التينة وفى نسخة أخرى أنها كانت لليعازر الذى أقامه الرب . وكان حامل جرة الماء إلى هذه الغرفة مرقس ، وهى بظاهر مدينة القدس قبليها وهى كنيسة كبيرة فيها العلية وفيها كانت السيدة الطاهرة مريم . وأن صهيون بالحقيقة واقعة قبلى أورشليم ويجاورها مكان ذكر أن تحته بلاطة قبور جماعة كبيرة من الأنبياء منهم داود وسليمان وغيرها »(فوليو ١٢١ V و١٢٢ R) .

وقد أضــاف إلى ما تقدم ابن كاتب قيصر فى تفسير سفر الأعمال قائلاً :

« فأما الغرفة التى صعدوا إليها فى أورشليم وهى التى أفصح فيها سيدنا مع التلاميذ فكانت ملكاً لسمعان القوريني وكان الأحد عشر يجتمعون فيها وهى أول بيعة قدست في العالم من السليحيين وبها تم الميثاق الجديد وبطل العتيق ، وفيها بشروا بقيامة سيدنا المسيح ، وفيها ظهر لهم بعد قيامته ، وفيها أختاروا متياس تلميذاً ورسولاً موضع يهوذا لتمام الأثنى عشر ليكون نزول الروح عليهم عند تكامل عدتهم وفيها نزول الروح عليهم وفيها كانوا مع أم سيدنا وأخوه (يوحنا الحبيب) والنسوة اللواتي كن يخدمنهم وينتقلن معهم من موضع إلى موضع ويعدون لهم طعاماً » (فوليو ٢٠١ B و ٢٠٢ A و ٢٤١) .

ويظهر جلياً مما تقدم أم مرقس البشير شاهد عياناً جميع الأدوار التى مرت بالسيد المسيح منذ إبتداء كرازته له المجد إلى يوم صعوده إلى السماء كما حضر أيضاً حلول الروح القدس على التلاميذ لأنه كان متصلاً بالرب يسوع نفسه وببطرس الرسول نسيبه وبالقديس برنابا ابن عمه ، فهو شاهد حق للحوداث التى دونها فى إنجيله الطاهر ، وليس كما يدعى المغرضون من أنه كتب الإنجيل باملاء بطرس بقصد التصغير من شأن القديس الجليل مرقس الكاروز العظيم ، بل كتب ما رأه بنفسه ، وسمعه بأذنه من السيد نفسه ، وما لمسه بيديه . ولذلك أعتبرته الكنيسة الجامعة ناظراً للآله ، ودفعاً لكل لبس ، ودحضاً لكل إفتراء ، وإعترافاً بقدر مهمته وقيمة عمله .

الفصل الثالث

إعتناق عائلة مرقس البشير
الديانة المسيحية

الأعجوبة الأولى للقديس مرقس :

لما آمن القديس برنابا الرسول بالسيد المسيح وتتلمذ له أخبر زوجة عمه فى أورشليم التى تدعى مريم أم يوحنا الملقب بمرقس بما رآه فى السيد المسيح وبرهن لها أنه هو المسيح حقاً فآمنت به ، ومنذ ذلك الوقت صار بيتها منزلاً ليسوع (مروج الأخيار – تذكار القديس برنابا) .

أما والد مرقس وعمه توما فقد آمنا بالمسيح على يد مرقس الرسول نفسه حيث إستهل كرازته بضمهما إلى حظيرة الإيمـــان المسيحى . وقال ساويرس ابن المقفع فى تــاريخ البطاركة : « إنه لما كان يوم من الأيام أخذ ارسطوبولس إليهما مقبلين عليه ولاحظ منهما شدة الغضب قال لولده أنظر غضب هذا الأسد ولبوته المقبلين ليهلكانا فامض أنت وانج بنفسك ياولدى ودعهما يفترسانى وحدى ، فأجابه تلميذ المسيح بإلهام من الله قائلاً : « لا تخف يا أبتى فالمسيح الذى أومن به ينجينا من كل شدة » فلما أقترب منهما الأسد واللبوة صاح فيهما مرقس بصوت عظيم وقال : « السيد يسوع المسيح ابن الله الحى يأمركما أن تنشقا فى الحال وينقطع جنسكما من هذا الجبل ولا يكن لكما

فيه ولد إلى الأبد » .فانشق الأسد واللبوة للوقت والساعة وماتا فى الحال وإنقطع فعلاً نسلهما . فلما نظر ارسطوبولس أبوه هذه الأعجوبة العظيمة التى ظهرت على يدى ولده مرقس بقوة الرب يسوع المسيح الذى لا يقهر ، قال لولده «أنا أبوك الذى ولدتك يامرقس ابنى ، وأنت اليوم أبى ومخلصى والآن ياولدى الحبيب أنا وأخى نسألك أن تجعلنا عبيداً للرب يسوع المسيح الذى تبشر به » فحـينئذ آمنا وإعتمـدا وتعلما أصـول الأيمان بالمسـيح من ذلك اليـوم (ص ١٤ VR) .

وقد أعترض البعض بأن المعمودية لم تكن قد ظهرت بعد فى هذا الوقت ، ولكنه أعتـراض مردود عليه بقول السـيد المسيح الصريح لتلامـيذه الأبرار : « تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم » (مت ٢٨ : ١٩) وعلى ذلك فإن ممارسة سر المعمودية كانت قائمة من عهد صعود المسيح . هذا فضلاً عن أن معمودية يوحنا المعمدان كانت موجودة ومعمولاً عليها فى ذاك الحين لأن الرسول فيلبس لما بشر الخصى وزير ملكه الحبشة كنداكه عند غزه وأقبلا على ماء ، قال له الخصى هو ذا ماء ماذا يمنع أن اعتمد ... فنزل كلاهما إلى الماء فعمده فيلبس (أعمال ٨ : ٢٦ - ٤٠) .

وبعد أن آمن ارسطوبولس والد مرقس البشير بالمسيح إنتقل من هذا العالم فأقام مرقس وحده مع أمه مريم ، ومن هذا الوقت صاربيت مريم ومرقس منزلاً ليسوع المسيح مدة إقامته باورشليم ، كما كان يجتمع فيه المؤمنون للدرس والصلاة ، وكان محط رحال الرسل الأبرار بعد صعود السيد المسيح (ابن المقفع ص ١٤ VR وفوه ص ٤ VR) .

الأعجوبة الثانية

وجاء أيضاً فى تاريخ البطاركة لابن المقفع أنه بعد المعجزة الأولى التى وقعت على يد مرقس مع الأسد واللبوة حصلت على يديه أيضاً معجزة ثانية إذ أنه بينما كان فى جهة الأردن فى بلدة تسمى ازدود وكان بها شجرة زيتون عتيقة العهد كبيرة الحجم ، وكان أهل البلدة يتعجبون من عظمها وكانوا يسجدون للقمر ويصلون لهذه الشجرة . فلما رأى القديس مرقس عبادتهم الوثنية قال لهم : « إن شجرة الزيتون التى تأكلون ثمارها وتوقدون أغصانها النار ثم تسجدون لها لا تقوى على شىء بل بكلمة الله الذى أعبده آمرهذه الشجرة أن تسقط على الأرض بلا حديد يدنو منها فلا تقوم لها قائمة » فقالوا له : « نحن نعلم إنك تعمل سحر الجليلى صاحبك وأن كل ما تريده تفعله . أما نحن فإننا ندعو إلهنـــا القمر ونعبده وهو الذى أقام لنا هذه الشجرة فنصلى إليها » فأجاب مرقس قائلاً لهم : « أنا أطرحها على الأرض فإن أقامها إلهكم أعبده معكم » فرضوا بهذا القول منه وابعدوا جميع الناس عن الشجرة وفتشوها وبحثوا فى كل مكان حولها لئلا يكون أحد مختفياً فيها أو قريباً منها . حينئذ رفع القديس مرقس وجهه إلى السماء متجهاً إلى ناحية المشرق وفتح فاه وصلى قائلاً : « ياسيدى يسوع المسيح ابن الله الحى إسمع عبدك وأمر القمر الذى هو خادم ثان لهذا العالم والذى يضىء فى الليل بأمرك وسلطانك أن يظهر صـــوته على هؤلاء الذين ليس لهم إله ويعرفهم من خلقه وخلق جميع الخليقة ، ومن هو الله حتى يعبدوه . وأنا أعلم ياربى وإلهى أن ليس له صوت ولا نطق ولاجرت عادة أن يكلم أحداً ولكن أنطقه أنت بقوتك التى لا تقاوم ليسمع هؤلاء كلامه فى هذه الساعة ويعرفوا أنه ليس إله ، لكنه خادم تحت سلطانك

وأنك أنت إلهه . وهذه الشـجرة التى يصلون لها تقع على الأرض ليعـرف الكل ربوبيتك ، وأن ليس إله إلا أنت والأب الصـالح والروح القدس المحيى إلى الأبد آمين » .

وفى تلك الساعة عند تمام صلاته حدثت ظلمة عظيمة فى نصف النهار وظهر لهم القمر مضيئاً فى السماء وسمعوا صوتاً صادراً منه قائلاً : « أيها الناس قليلو الإيمان . لست أنا الله فتعبدوننى بل أنا عبد الله ومن بعض خلقه ، وأنا خادم المسيح ربى الذى يبشر به مرقس تلميذه فهو الذى نعبده ونمجده » .

عند ذلك سقطت شجرة الزيتون وصار خوف عظيم على كل من شاهد هذه الأعجوبة . أما القوم الذين كانوا يخدمون الشجرة ويسجدون لها فقد غلظت قلوبهم وغضبوا ومزقوا ثيابهم ومسكوا القديس مرقس واعتدوا عليه لليهود المخالفين فطرحوه فى السجن . فلما إنتبه رأى أبواب السجن مفتوحة فخرج هو ومن كان معه ، وكان حفظة السجن نياما كالأموات . أما الجموع الذين شاهدوا ما كان فقد قالوا لا يتم لنا عمل مع هؤلاء الجليليين لأنهم يفعلون هذه الأعمال ببعلزيول . (ابن المقفع ١٤ V و ١٥ R) .

الفصل الرابع

إشتراك القديس مرقس
فى
الكرازة مع الرسل

بعد صعود السيد المسيح وحلول الروح القدس المعزى على تلاميذه ابتدأ مرقس بأعمال التبشير مع الرسل حوالى سنة أربعين ميلادية حيث رافق القديس بطرس فى أسفاره وأشترك معه فى إعلان البشارة فى جهات متعددة فمضى معه إلى أورشليم وبشر الجموع بكلام الله وظهر الروح القدس لبطرس وأمره أن يمضى إلى المدن والقرى ، فمضى بطرس ومعه مرقس إلى بيت عنيا وبشرا بكلمة الخلاص . ثم أقام بطرس هناك عدة أيام فنظر فى النوم ملاك الرب يقول له : « فى كورتين علاء عظيم » فقال بطرس « أى الكور تعنى يا ملاك الرب » ؟ فقال له : « كورة الأسكندرية ومصر وكورة رومية » فلما أستيقظ بطرس من نومه قص على مرقس ما شاهده فى الرؤيا فى منامه (ابن المقفع ص ١٥ R) .

وصحب مرقس أيضاً القديسين بولس الرسول وابن عمه برنابا إلى أنطاكية حوالى سنة ٤٥ ميلادية (أ ع ١٢ : ٢٥) وذهب معهما إلى قبرص إلى بعض جهات فى آسيا الصغرى . ولما جاءوا إلى برج بمفيليه بأسيا الصغرى قرب

أضاليا تركهما هناك وعاد إلى أورشليم . أ ع ١٣ : ١ – ١٣ ولبث هناك إلى أن حضر المجمع المقدس الرسولى الأول الذى إنعقد فيها حول سنتى ٥٠ و ٥٢ م . وبعد إنفضاض المجمع وقع خلاف بين بولس وبرنابا بسبب القديس مرقس ، لأن برنابا كان يرغب فى أن يلازمهما مرقس ، بينما بولس كان متأثراً من ترك مرقس لهما فى بمفيليه فلم يرغب أن يأخذه معهما ، وافترقا من بعضهما فأخذ بولس سيلا وإنطلقاً إلى سوريا وأما برنابا فأخذ مرقس بصحبته وذهبا إلى جزيرة قبرص (أ ع ١٥ : ٣٦ – ٤١) وذكر كتاب السير أن مرقس قام بدفن برنابا هناك بيده الكريمة ثم عاد .

وقال ابن كاتب قيصر فى شرحه هذا الخبر الوارد فى سفر الأعمال إن يوحنا الذى سمى مرقس أختاره برنابا أن يكون معهما وأمتنع بولس من ذلك لأن يوحنا مرقس هذا خرج معهما من بيت المقدس على أن يكون مقيماً معهما وملازماً لهما ومعلماً للشعب فأقدم على خروجه عليهما . لأن مرقس لم يحب أن يسلم الأمانة بالمسيح ولا أن يعلمها لمن لا يحفظ سنن موسى ففارقهما وعاد إلى بيت المقدس . فلما وقف على الرسالة التى كتبها السليحيون واتفقوا عليها من أنه لا يجب أن يكون مع الأمانة بالمسيح شىء من وصايا الناموس تحول عن رأيه ومال إلى مشاركة بولس وبرنابا فى العمل وعاد إليهما فقبله برنابا وصفح عنه لأنه كان رضى الأخلاق متسامحاً . أما بولس فامتنع عن قبوله لأنه كان شديد التمسك بتعليمه وواثقاً فى أمانته وشديد الغيرة على تعليمه والزهد فى إستصحاب من يخالفه ، ورأى فى يوحنا قصر النظر والتغيير فى الرأى ، ووجده غير مستحق لصحبته ، ففارق برنابا بولس وإنضم إلى مرقس لهذا السبب ، وكان أفتراقهما بتدبير سيدنا يسوع المسيح لينفرد كل واحد فى بلد

يعلم فيه ويبشر فتنتشر الأمانة وتكثر ويظم الداخلون فيها » (فوليو ٣٢٢ BA)
وهنا يجب ملاحظة أن عدو الخير لم يستطيع أن يستغل حادث الخلاف هذا لتعطيل الكرازة وخلق المشاكل فى الكنيسة ووضع العثرات للمؤمنين ، لأن حكمة المؤمن بالإحتفاظ بروح السلام مع أخيه المؤمن رغم إختلافه معه فى الرأى احبطت مساعى الشيطان إذ قد أفترق بولس عن برنابا وهما فى سلام دون أن يترتب على إختلافهما حقد أو ضغينة لأنهما مرتبطان برباط الكمال المسيحى حتى أن بولس الرسول بعد مرور زمن طويل كما ستراه فيما بعد قال عن مرقس الذى لم يقبل أن يرافقه مع برنابا ابن عمه إنه نافع للخدمة ، فأشركه معه فى العمل التبشيرى فى روميه وأولاه ثقته (٢ تى ٤ : ١١) .

وقال ساويرس بن المقفع إن مرقس مضى مع بطرس بعد الرؤيا إلى روميه وبشرا بكلام الله قبل مجىء مرقس إلى مصر (كتاب ١٣ ص ١٥ R) .

وقال يوساب أسقف فوه وهو من رجال الجيل الثالث عشر فى تاريخه إن بطرس ومرقس مضيا إلى أعمال روميه وبشرا هناك ثم فارقه مرقس وحضر إلى إفريقيا (ص ٥ R) .

وقال الأنبا بطرس الجميل أسقف مليج وهو من رجال الجيل الرابع عشر فى السنكسار فى تذكار ٣٠ برموده إن مرقس بعد نياحة برنابا ذهب إلى بطرس بروميه ، وكتب إنجيله فى روميه باللغة اللاتينية قبل سنة ٤٩ م . ويقول ابن كبر إنه كتبه باللغة الأفرنجية (ويقصد اللاتينية) بعد صعود المسيح بأثنى عشر سنة (٤١ A و ١١٨ B) ثم بشر مرقس بإنجيله فى أكويلا (لاروس

القرن العشرين) وأن له فيها آثاراً عظيمة جعلت إسمه مخلداً ، وإعترف الإيطاليون بفضله عليهم للخدم الجليلة التى أداها لهم ، ويقول أهالى البندقية بحسب التقليد الموجود عندهم إنه بشرهم ثم ذهب إلى الخمس مدن الغربية .

وبالإختصار فإن القديس مرقس بعد أن رافق الرسل حيناً من الزمن لم يبق فى أورشليم ولم يذق طعم الراحة ، بل كان مهتماً بالكرازة ، قائماً على خدمة يسوع المسيح الكلمة ، جاهداً فى سبيل نشر الدعوة المسيحية وإعلان بشرى الخلاص .

الفصل الخامس

إنفراد مرقس بالكرازة

أتم القديس مرقس خدمته الرسولية خارجاً عن مصر حتى موت الرسولين بطرس وبولس وقد كان منتظماً معهما فى العمل الرسولى لغاية يوم إستشهادهما ، وهكذا قال القديس بولس كلماته المشهورة فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس التى كتبها من رومية ، حين أسره الثانى فى السنة الثالثة عشر لنيرون وقبل موته بسنة : « لوقا وحده معى . خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة » (٢ تى ٤ : ١١) .

وقال ابن المقفع : ولقد تحققت النعم التى من بها السيد المسيح الذى لذكره السجود على جميع بنى المعمودية الذين إشتراهم بدمه العظيم وأعطى سلطانه وموهبة روح قدسه لتلاميذه وأتباعه الأثنى عشر والأثنين والسبعين المنتخبين ومن يتبعهم مثل بولس معلم البيعة الذى خصه الله بدعوته لعلمه بقوة إيمانه وغيرته ، ومثل من اصطفاه لكرسى شهيده وتلميذه المبشر بإنجيله ورسوله إلى خلقه وشعوبه مرقس أول بطاركة أقليم مصر والخمس مدن وهى : برقة وفزان والقيروان وطرابلس الغرب وأفريقية والحبشة والنوبة ، وكل هذه دفعت فى كرازته بأمر روح القدس (كتاب ١٣ تاريخ ص ٤ V) لأنه كما قال أسقف فوه : لما

نظر بطرس في المنام ملاك الرب يقول له : في مدينة الأسكندرية وكورة مصر غلاء عظيم ، وليس غلاء طعام بل غلاء من معرفة كلام الله الذى يبشر به أعلم مرقس بذلك ثم مضيا إلى أعمال رومية وبشرا هناك ، وفى السنة الخامسة والثلاثين من صعود المسيح أرسل بطرس مرقس إلى الأسكندرية بالهام الروح القدس ليبشر بها ويكرز بكلام الله وإنجيله لأجل ما كانوا عليه من الضلالة وعبادة الأوثان ، فقصد أولاً الخمس مدن الغربية (تاريخ البطاركة ص ٥ R)
وقال إبن كبر إنه بعد خمسة وعشرين سنة للصعود المقدس أرسله بطرس إلى الأسكندرية فبشر فيهـا على حكم القرعة ، فإن سهم قرعته كان بها وبمصر ولوبيا وطوبيقي وغيرها ، وكـان توجهه إليها فى السنة التـاسعة لملك اقلوديوس قيصر ، وبشر في الخمس المدن الغربية وبرقة ثم عاد إلى الأسكندرية (ص ٤١ A) .

وجاء فى تاريخ الرسل وكتبة البشائر أنه فى الزمان الذى وزع التلاميذ المدن والكور عليهم لإعلان البشارة ، لزم القديس مرقس أن يسير إلى بلاد مصر وجلس فيها ينادى بالإنجيل بمشيئة الله وبإتفاق البيع المقدسة ، وهو أول من تلمذ كل مداين مصر ويبشرها بإيمان الرب يسوع (كتاب ١ تاريخ ص ١٢٩ V وكتاب ٦ تاريخ ص ١٦٠) .

ويتضح جلياً مما تقدم أن القديس مرقس البشير أختص ببشارة مدن الغرب الخمس وكـورة مصر وأفريقيا الشمـالية بإلهام الروح القدس فقصد أولاً بعد أن فـارق باقى الرسل الأطهـار إلى القيـام بإعــلان بشرى الخلاص في القـارة الأفريقية (ابن المقفع كتاب ١٣ ص ١٥ VR) وهو أول بطريرك رعى رعية المسيح فى الأسكندرية وكورة مصر وما يليها من أقليم كرازته (ابن كتاب ١٣ ص ٢ V) .

ثم قال ابن المقفع فى تاريخ البطاركة إن مرقس مضى من روميه وقصد أولاً الخمس المدن الغربية (كتاب ١٣ ص ١٥ R) .

١ - بشارة الخمس المدن الغربية :

ترك مرقس بطرس في رومية وقصد الخمس المدن الغربية أولاً وهى مسقط رأسه ، وذلك حوالى سنة ٥٢ ميلادية .

وقال أبو شاكر بن الراهب في الباب الخمسين من كتاب التواريخ : « فلما عدى القديس مرقس من رومية قصد الخمس مدن أولاً (تأييداً لما ذكره ابن المقفع) وبشر فيها بكلام وأظهر عجائب كثيرة بنعمة الله الحالة فيه وآمن جمع كثير بالمسيح وكسروا أوثانهم فعمدهم بإسم الآب والأبن والروح القدس » (ص ٢٠٧ V) وكانت ديانتها قبل الميلاد خليطاً من ديانة المصريين القدماء واليونانيين ، كما كان بين سكانها كثير من الإسرائيليين الذين استوطنوها بسبب العلاقات التجارية التى كانت قائمة بينها وبين فلسطين .

٢ - جغرافية المدن الخمس الغربية .

إن الخمس المدن الغربية هى البلاد الواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط المعروف بإسم بحر الروم فى منطقة ليبيا الخارجية ، وهى المعروفة فى وقتنا الحاضر بإسم طرابلس الغرب وأطلق عليها باليونانية إسم « بنتابوليس » .

وهذه المدن الخمس تعرف بإسم مدن ليبيا الخمس ، وتشمل ما يأتى حسب روايات مؤلفى الغرب فى دائرة المعارف وقاموس لاروس القرن العشرين : -

١ - مدينة قرينى أو قورينه أو القرنه وهى خلاف القيروان الموجودة فى

تونس الغرب ، وقد كانت أشهر البلاد مركزاً ، وأطلق إسمها على الخمس المدن فسميت بها وإمتلكها الفرس ثم البطالسة فى أيام بطليموس سوتير أول ملوك هذه العائلة حتى ٩٦ ق . م . فخضعت لحكم الرومان وسميت بإسم الخمس المدن القرينة لوجود خمس مدن معروفة بها .

٢ – بنيريق وكان إسمها قديماً هسبريس وعرفت بإسم برنيقه القيرينية وتعرف الآن بإسم « بنى غازى » .

٣ – أبولونى وهى المسماه مرفأ سوذه .

٤ – طوتشيره أو ارسينويه وذكر بعضهم درنا وهى مدينة دارنيس زارين القديمة فى جهة برقة .

٥ – بطولمايس وتعرف تطلميته وهى تبعد ماية وخمسين كيلومتراً من درنه غرباً وعن برقة وأصبحت الآن خراباً ، وأخلفتها مدينة .

أما القبط ومؤرخوهم فيحددونها هكذا :

أولاً – حسب كتاب السلم الكبير : « (١) برقه
(٢) تونس (٣) طرابلس الغرب (٤) أفرنقيه
(٥) القرينى

ثانياً – حسب كتاب رسامة الأساقفة : « (١) برقين (٢) تونس
(٣) طرابلس (٤) افريقيا (٥) القيريبين

ثالثاً – حسب رواية ساويرس بن المقفع :
(١) برقة (٢) فزان (٣) القيروان (٤) طرابلس الغرب
(٥) أفريقيا (كتاب ١٣ ص ٤ V) .

٣ – أعمال مرقس فى الخمس المدن الغربية .

قام القديس مرقس فى قارة المدن الخمس الغربية بإعلان إسم يسوع المسيح ونشر كلمة الخلاص فيها ، وقد ظهرت على يديه بنعمة الله التى حلت فيه عجـائب كثيرة فشفى المرضى وطهر البرص وأخرج الشيـاطين فآمن خلق كثير من أهالى البلاد ورفضوا عبادة الأوثان وكسروا الأصنـــام التى كانوا يعبدونها وعمدهم . وبعد أن أتم ذلك أرشده الروح القدس إلى القيـام لكورة مصر ليزرع فيها الغرس الجيد فسلم على الأخوة المؤمنين وودعهم ودعاً لهم بالثبات فى الإيمان إلى أن يعود إليهم فيشترك معهم فى الأفراح الإلهية ؛ فشيعوه ودعوا له بالتوفيق وصلى معهم قائلاً : « يارب ثبت الأخوة الذين قد عرفوا إسمك المقدس لكى أعود إليهم فرحاً بهم » ، وبعد أن فارقهم طاف أقاليم ليبيا هذه وغرس فيها النصرانية وصرف فى التبشير هناك إثنتى عشر سنة (مروج الأخبار ص ٢٢٣) .

٤ – مجيء القديس مرقس إلى الديار المصرية .

كشف الروح القدس لمرقس أثناء وجوده فى برقة أن يخرج إلى الأسكندرية ذات المنارة ويبذر فيها الزرع الصالح كلام الله وصار المغبوط مرقس مثل الجندى الشجاع والمجاهد فى الحرب وقبل الأخوة المسيحيين كلهم وودعهم قائلاً : « أمرنى الرب يسوع المسيح أن أسير إلى مدينة الإسكندرية وأنادى هنـــاك بالإنجيل » (كتاب تـــاريخ الرســـل رقم ١ ص ١٣٠ R ورقم ٢ ص ١٦٠ VR) .

وفى النصف الثانى من القرن الأول الميلادى قصد القديس مرقس الإنجيلى الديار المصرية عن طريق الصحراء الغربية فوصل إليها فى السنة الخامسة والعشرين بعد الصعود ، على ما ذكره ابن كبر أى حوالى سنة ٥٨ م .

وجاء فى مروج الأخيـــار أن مرقس بعد أن طاف فى أقاليم ليبيا دخل بلاد مصر والصعيد ، وقد بـــارك الله غيرته بنوع عجيب لأن الأرض التى كان الظلام ، أى ظلام الكفر والرذيلة ، مسدولاً عليها ، إستحالت بتبشير القديس مرقس إلى فردوس سماوى تضىء فيه شمس العدل (ص ٢٣٣) .

وصل مرقس البشير مدينة الأسكندرية فى السنة السابعة من حكم نيرون على ما رواه أبوشاكر بن الراهب وأجمع عليه علماء الغرب أى سنة ٦١ م على المشهور ، ودخل المدينة العظمى من باب شرقى الميناء الشرقية حيث كانت المسلة قائمة ليبشر فيها ويخلصها من ظلمة الوثنية .

ولبث مرقس يكرز بكلمة الخلاص فى صحراء ليبيا وصعيد مصر من سنة ٥٨ إلى سنة ٦١ م غ . وكان مجيئه للأسكندرية عن طريق الواحات فالصعيد فالنيل السعيد فالفرع الكانوبى إلى أن وصل الأسكندرية من الجهة الشرقية كما يتضح ذلك جليا من البيانات المتقدم ذكرها .

ولا يبعد أن يكون البشير مرقس عرج على بابيلون (مصر القديمة) وعين شمس (تل اليهودية) حيث كانت بهما جالية يهودية كبيرة العدد إلا أن الرسول بطرس لم يأت إليهما . أما بابل الوارد ذكرها فى رسالة القديس بطرس الأولى . « وتسلم عليكم الكنيسة المختارة التى فى بابل ومرقس ابنى » (١ بطرس ٥ : ١٧) ، فإنها ليست بابيلون مصر أى القلعة التى أسسها نبوخذ نصر الفارسى وجددها طريانوس قيصر الرومان على رواية يوحنا النقيوسى فى تاريخه ، كما ذهب إليه البعض خطأ أو عمداً لغرض فى النفس . بل المقصود من أهل بابل المذكورين فى هذه الآية سكان رومية عاصمة المملكة الرومانية . وقد قال ابن كاتب قيصر فى تفسير سفر الرؤيا : « وأما ذكره (أى بطرس) أهل بابل فيعنى بهم آل رومية لأنها قد تبلبلت بما حدث فيها من تفريق الألسن كما حدث

فى بابل اشور (ص ٢٩٣) . ولم يذكر مطلقاً التقليد الكنسي وتاريخ الرسل أن بطرس الرسول حضر إلى الديار المصرية ولا كتب رسالته في مصر حتى كان يعتقد بأن بابل المقصودة فى رسالته هى بابيلون مصر بل أنه كتب هذه الرسالة لعامة المسيحيين .

وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أن المكان الذى حرر فيه بطرس رسالته الأولى هى رومة ودعاها بابليون ، وقد أجمع مفسرو القبط ومؤرخوهم وغيرهم على ذلك .

أما ما ذكرته السيدة بوتشر في تاريخها من أن بطرس ومرقس تقابلا فى بابيلون فهو رأى لا سند له ولم ينكره أحد من قبل ولذلك فلا يعتد به ، وأن أصل الخلط بين إسمى بطرس سمعان وسمعان القانوى الذى حضر إلى مصر هو سبب هذا الخطأ كما سيأتى ذكره .

الفصـــل الســـادس

إستعداد مصر
لقبـــول المســـيحية

لما دخل السيد المسيح أرض مصر عند هروبه من إضطهـاد هيرودس الكبير ملك اليهـود الطاغى تنفيذاً للوحى الإلهى خلصها من عبادة الأصنام . وقد تنبأ إشعياء النبى عن ذلك فيما قال : « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقـــادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها » (إش ١٩ : ١) .

ولما رجع السيد المسيح إلى أرض اليهودية وأخذ يبشر فى فلسطين باقتراب ملكوت الله إجتذب قلوب الكثيرين بسحر بيانه وحسن تعاليمه وقوة معجزاته وسمو آياته وطهارة سيرته وبساطة معيشته ثم جمع حوله تلاميذه الإثنى عشر رسولاً وتلاميذه الأثنين والسبعين الآخرين الذين تولوا بعد صعوده أمر التبشير بكلمته عند جميع الأمم .

وكان بأورشليم فى تلك الأوقات جمهور من اليهود المصريين الذين رأوا بأعينهم المعجزات وسمعوا بآذانهم ما فاه به السيد المسيح عن قوة الله وعجائبه وشاهدوا الحكمة الفائقة فى إرشاده وتعليمه . كما رأى بعض الذين أتوا من

مصر وصعدوا إلى أورشليم فى عيد الفصح محاكمة المسيح وصلبه وسمعوا بقيامته ، بل إن منهم من بقى بها إلى صعوده وظلوا مقيمين فيها وقت حلول الروح القدس على تلاميذه وإقتبـــال البشرى فى يوم الخمســين فى علية صهيون (أ ع ٢ : ١٠) .

ولما عاد هؤلاء الإسرائيليون المصريون إلى الأسكندرية وعين شمس وبابيلون وسائر المدن المصرية المقيمين فيها خبروا بما سمعوه ورووا ما شاهدوه من حوادث المسيح فلم تكن أخبار ظهور الديانة المسيحية الجديدة مجهولة من سكان مصر الإسرائيليين على العموم والقاطنين منهم مدينة الإسكندرية على الخصوص قبل دخول القديس مرقس الديار المصرية .

١ – أبوللس الأسكندرى :

كان ابوللس الذى شاد بذكراه جماعة الرسل الأبرار وشهد الكتاب بفصاحته ومسـاعدته بالنعمة للمؤمنين قد جاء عنه فى سفر الأعمال : « ثم أقبل إلى افسس يهودى أسمه ابوللس أسكندرى الجنس رجل فصيح مقتدر فى الكتب . كان هذا خبيراً فى طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط » (أ ع ١٨ : ٢٤ و ٢٥) وجاء عنه أيضاً فى رسائل الرسائل : « إن أبوللس جاء إلى أخائية وساعد كثيراً بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا . لأنه كان باشتداد يفحم اليهود جهراً مبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح (أ ع ١٨ : ٢٧) وعلى ذلك تكون البشرى قد وصلت مصر قبل بشارة مرقس .

٢ – لوقا البشير والعزيز ثاوفيلس .

وأهم من هذا أن القديس لوقـــا البشير كان قد كتب إنجيله إلى أحد أغنيــاء الأسكندرية وهو العزيز ثــاوفيلس الأسكندرى (لو ١ : ١ – ٣) فيكون بذلك أن الأنجيـل وسفر الأعمـــال كانا معروفين فى الأسكندرية قبل مجيء مرقس البشير .

قال المشرقى وهو القس أبو الفرج بن الطيب من رجـال الجيلين العـــاشر والحـادى عشر الميلادى فى تفسير إنجيل لوقا ما يأتى : « وقال قوم إن ثاوفيلس كان رئيس المؤمنين بالإسكندرية وكان صديقاً للوقا ومنه أعتمد هو وجميع أهل اغناطس ، وهم التمسوا منه أن يكتب لهم الإنجيـل ، والدليل على ذلك أنه ورد فى بعض النسخ بدل قوله « أيها العزيز » « أيها الوالى » على أن تلقيبه بالعزيز يدل على أنه من أربــاب الرتب لأن ذلك ممـا يلقب به الحكـام (ص ١١ جزء ثان طبع مصر) وقوله : لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » فيه الدليل على أن ثــاوفيلس يعلم قبل ذلك بعض الشيء عن أمور المسيح فأراد لوقا أن يوقف صاحبه على كمال الخبر مما جمعه هو من مصادر وثيقة (ص ١٢) .

إن إيليا بن الحديثى من بطاركة المشرق للكلدان النساطرة صاحب كتابه المعروف بالتراجم السنية للأعياد المارانية طبع سنة ١٨٧٣ فى الموصل قال فى المقدمة التى تقال قبل تلاوة إنجيل لوقا البشير ما يأتى :

« فــأعدوا القلوب لكــلام مخلص البرية وفاروق الطبيعة البشرية على لســـان كاشف الحقائق السرية لوقا رسول القبط واليونان فى مدينة الأسكندرية » (ص ٢٨٦) .

وقال ابن كبر إن لوقا الإنجيلى المتطبب صحب بولس وكتب الإنجيل باليونانية بالإسكندرية بين سنتى ٥٢ و ٥٥ م (BA ٤١) .

٣ – الرسول سمعان القانوى الشهير بالزيلوتوس أى الغيور في مصر .

إن القديس سمعان القانوى الملقب بالغيور ، وباليونانية زيلوطوس أى القانوى باللغة العبرية من سكان الجليل قد كرز بالإنجيل فى أقاليم فارس بعد أن كرز هذا الرسول فى الأقليم المصرى ، وتعيد له الكنيسة اليونانية فى يوم ١٠ أيار (مايو) (الكنز الثمين جزء ثالث ص ٤٧) .

وجاء فى السنكسار القبطى . « إنه بعد قبول سمعان نعمة الروح القدس المعزى وتكلم بسائر لغات أهل العالم وعلم السراير الإلهية دخل فى وسط ظلال العالم فأنار الجزء الذى إنتدب إليه ورد كثيرين من الحكماء الجهال وأنارهم وصيرهم من بعد أن كانوا ذئاب خاطفة غنماً أنيسة ومضى إلى بلاد الزنج وبلاد البجاه ودخل جزيرة برطانة (تذكار ١٥ بشنس طبع باريس) .

وجاء فى مروج الأخبار أن القديس سمعان هذا يلقب فى بشارة القديس متى (١٠ : ٤) بالقانوى ، ولذا ظن أنه ولد بمدينة قانا الجليل بهذا اللقب ، ففرق القديس متى بينه وبين القديس سمعان بطرس وبين القديس سمعان أخو الرب الذى خلف أخاه القديس يعقوب الصغير على الكرسى الأورشليمى . أما القديس لوقا فلقبه بالغيور (لو ٦ : ١٥) وذلك إما من أجل غيرته الشديدة وإما لأن كلمة « قانا » لفظة عبرانية معناها « غيرة » وأنه من المسلم به أن هذا الرسول تجشم أتعاباً وكابد مشاقاً كثيرة فى خدمة الإنجيل المقدس . وقد ذهب القديس سمعان إلى بلاد مصر كما روى مؤرخ وضع كتابه فى القرن السادس وقال إنه بعدما بشر هناك بالإيمان مضى إلى أفريقية وزرع هناك زرع الخلاص ثم إنطلق إلى إنجلترا (بريطانيا) ومن هناك ذهب إلى بلاد العجم ثم

إنطلق فى هذه المملكة وإجتنب إلى الإيمان المسيحى أكثر العجم ، وتعصب عليه كهنة الأوثان وهيجوا الشعب عليه فنشروا القديس من وسطه ونال إكليل الشهادة والمحبة فى يوم ٢٨ تشرين الثانى (ص ٦٥٦ و ٦٥٧) .

وجاء فى كتاب جغرافية مصر فى عهد الأقباط تأليف أميلنيو : « إن السنكسار يذكر فى تذكار ١٥ بشنس أن سمعان الزلوطى رسول المسيح توجه إلى بلاد الزنج (النوبة) والبجاة ودخل جزيرة برطانه . فنقول إن هذه الأسماء لها أثر حقيقى ، فبلاد البجاه (Bougat) تمتد من أسوان إلى البحر الأحمر ، وإن جزيرة برطانه لا يستبعد أن تكون إحدى الجزائر الساحلية العديدة المجاورة لشاطىء البحر الأحمر (ص ٩٧) .

ويظر مما تقدم أن إسم برطانه إختلط على كاتب مروج الأخبار فاعتبرها بريطانية إحدى جزائر المملكة الإنجليزية البريطانية وهذا خطأ بالمرة لأنه لم يتوجه أحد الرسل إلى تلك الجهات النائية ، ويؤيد ذلك ما جاء فى قاموس لاروس القرن العشرين حيث ذكر « أن القديس سمعان رسول وشهيد من شهداء الجيل الأول الميلادى ويلقب بالزللوطى أى الغيور وبشر بالإنجيل فى مصر والعجم حيث عذب بالصلب . وتعيد له الكنيسة اللاتينية يوم ٢٨ أكتوبر واليونانية يوم ١٠ مايو ويوافق ١٥ بشنس (جزء سادس ص ٣٦٠) ولم يأت ذكر بريطانيا الأوروبية فى هذا القاموس ولا فى السنكسار القبطى والرومى .

ومما تقدم يتضح جلياً أن بشرى الخلاص قد وصلت مصر وكان الإنجيل وسفر أعمال الرسل معروفاً فى الأسكندرية قبل مجيء مرقس إلى الديار المصرية ، كما كان الحال كذلك فى رومية قبل مجيء بطرس وبولس ومرقس إليها .

الفصـــل الســـابع

الديانة المصرية القديمة :

كانت مصر فى الوقت الذى بدأ فيه مرقس البشير أعمال التبشير بكلمة الخلاص تدين بديانتين وثنيتين أحداهما ديانة أهل البلاد والثانية ديانة اليونانيين ، كما كانت الديانة الموسوية تمارس بين إسرائيلى مصر ، وكانت الأسكندرية فى هذا الوقت مأهولة بعدد كبير من الجاليتين اليهودية واليونانية ، وكان بين اليونانيين والمصريين عداوة دينية . فاليونانيون لم يعتقدوا بخرافات الآلهة المصرية كما كان المصريون يمقتون عبادة اليونان الوثنية ، فضلاً عما كان يشوب الديانتين من أنواع الفساد بحيث كانت الظروف مناسبة للتبشير بديانة جديدة طاهرة خالية من الخزعبلات ، تبشر بتعاليم نقية وتعلم بوحدانية الإله كالديانة المسيحية وتنشر سمو تعاليمها .

وكانت ديانة مصر القديمة قبل أن تتخللها الخزعبلات الوثنية ديانة سامية ، تبشر بالإله الواحد وتحوى الطقوس والمعتقدات المتنبئة عن حقائق الدين المسيحى كما تنبأت عنها الديانة الموسوية ولذلك رأينا ضرورة التكلم باسهاب عن هذه الديانة التى ساعدت كثيراً على قبول الديانة الجديدة .

١ – دين وحدانى وليس وثنى :

كانت الديانة المصرية القديمة قائمة فى أوائل نشأتها على عبادة الإله الواحد ، تتلثت فيه الصفات والأعمال بأشكال عدة ، عبده العامة فيما بعد كآلهة تاركين حقائقها الأصلية الشاملة للتوحيد والتثليث والعقاب والثواب ، والبعث بعد الموت ، والنبوات عن ميلاد المسيح ، والتجديد بالمعمودية ورمز الحياة إلخ .

وقال العلامة شامبوليون فيجاك فى كتاب تاريخ مصر القديمة ما يأتى : –

« وقد جـــاء فى كتب الفلسفة المصرية القديمة المنسوبة إلى هرمس : « أيا مصر يا مصر قد قيل إنه سيأتى زمن تتبدل فيه ديانتك النقية ومعتقداتك الطـاهرة ولا يكون لك فيهـا سوى قصص سخرية غير مصدقة من الخلف ، ولا يبقى لك إلا كلمـــات منقوشة على الحجـــارة وهى الأثر الوحيد الذى يشهد لك على عبادتك » .

ولقد حققت الأزمنة والمصائب التى حلت بمصر هذه النبوة القائلة وأن الشعوب المتعلمة التى هذبتها مصر قامت رغماً عن مصر باعارتها المعتقدات السخيفة والطقوس الممسوخة : وقد رأى بعض الكتاب اليونانيين والرومانيين أن عبادة الحيوانات وبعض ثمار الأرض هى من صميم المعتقدات الدينية فى الديانة المصرية . وهذا رأى لم يبن على أساس علمى إذ أنه بموجب هذه الإستشهادات المريبة حكموا على الفلاسفة المصريين القدماء معلمى أعظم أمة وجدت فى الكون بأنهم يجهلون الألوهية وينغمسون فى ظلام تعدد الآلهة ولا يعبدون إلا الجماد . وبالإختصار أنهم عميان وكفرة وملحدون . ولكن الذين أدركوا الحقيقة وحركتهم الحيدة ، ذوو الكفايات العلمية فى الدراسات الجدية من بين الفلاسفة أمكنهم الإقتراب من الحقيقة رويداً رويداً واستحقوا أن يكافأوا على صنيعهم هذا ، وما تجشموه من المتاعب فى سبيل يقظتهم العلمية

. فلقد تجاسر بروفيروس أن يؤكدان المصريين لم يعرفوا فيما مضى إلا إلهاً واحداً وقال هيرودوت أيضاً إنه كان عند أهل طيبة فكرة الإله الواحد الذى لا بداية له ولا نهاية . وأن جامبليكوس البحاثة المدقق فى فلسفة الأجيال القديمة تحقق من نفس المصريين « أنهم يعبدون إلهاً واحداً سيد وخالق العالم يسمو على كل العناصر ، وغير مادى بذاته ، وغير جسدانى . لم يخلق وغير متجزىء وغير مرئى ، المبدع لذاته ، الموجود بذاته ، والذى يحوى كل شىء فى ذاته ويتصل بكل شىء » ، وأن مذهب الرمزية كما يقول هذا الفيلسوف يعلمنا أن تعدد الآلهة يؤدى بنا إلى وحدة الإله وأن تنوع القوات المنبعثة منه يدل على وحدة قدرته ، وبهذا يتحدث الفلاسفة المصريون فى كتبهم المقدسة ، ولشهادة هذا الفيلسوف كل إعتبار عن كل تهاريج القادحين القدماء والحديثين ، وأن الدراسة الحديثة للمؤلفات بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة وكذا الرسوم الدينية التى تكسو الآثار المصرية والنصوص الكتابية الدالة على مكنونها تؤيد رأى الرجال الثقاة الذين لم يشوهوا الفكر البشرى العتيق ولم يحتكروا لجيلهم وأصدقائهم بكل كبر وعظمة كشف أسرار العقل ونبل وحى النفس .

وبالأختصار فبضع كلمات تكفى لإعطاء فكرة حقيقية كاملة عن الديانة المصرية فهى قائمة على وحدة ذاتية إلهية نقية يعبرعنها ظاهريا برموز متعددة أعنى إله واحد الذى كل صفاته وخواصه ممثلة فى مؤثرات فعالة أو آلهة منقادة كما أيده الواقع وآراء الرجال المتازين ، وأنه حقاً قد سما المصريون بأفكارهم وبطول ملاحظة الطبيعة فتوصلوا إلى إدراك الوحدة الإلهية وخلود النفس والحياة الأخرى ، التى إما أن تكون حياة السعادة أو تكون حياة الشقاء (كتاب تاريخ مصر القديمة ص ٢٤٤ AB و ٢٤٥ AB) .

٢ – حقيقة وحدانية الاله فى الديانة المصرية :

لقد ذكرنا فيما تقدم أن هيرودوتس أبو التاريخ اليونانى الجنس شهد بأن أهل طيبة كانوا يعرفون الإله الواحد الذى لا بداية له ، الحى الأبدى ، وقد أيده شهادته كل من الفيلسوفين بورفيروس وجامبليكوس من رجال الجيل الثالث الميلادى .

ولقد عثر العلامة بروجش على نص العقيدة المصرية فى وحدانية الإله وهى : –

« الله هو الواحد الأحد . لا إله إلا هو . الذى صنع كل شىء . وهو روح خفى . روح الأرواح . روح المصريين الأكبر . الروح القدس . الله هو الموجود منذ الأزل . وهو موجود قبل كل الوجود . فهو أبو الأصول الله أزلى . وهو الحى الدايم الذى لا نهاية له . الأبدى . الباقى على الدوام . ولا يعرف أحد شكله . الله هو الحق . ويعيش بالحق . ويتغذى بالحق . ويرتكز على الحق . وهو الخالق للحق . الله الخالق ولم يخلق . معطى الوجود ولم يوجوده أحد . الموجود بذاته . الكائن بنفسه . المقوم لجسمه . المبدع لشكله » .

(L'homme et la terre Tomeii 2 page 180 Religionund My thologie der Alten Aegypten) .

وقال العلامة ماسبرو فى كتابه عن شعوب الشرق : « إن إله المصريين كان كائناً وحيداً كاملاً متحلياً بمعرفة وفطنة صحيحتين . وهو لا يدرك بدرجة لا يمكن القول فى أى شىء لايمكن إدراكه . فهو الواحد الوحيد . الكائن بالجوهر . والوحيد الذى يعيش فى الجوهر . الوحيد المبدع فى السماء وعلى الأرض . الذى لم يولد . أب الآباء وأم الأمهات . الدائم . المتساوى . الغير متغير إلى الأبد فى كمال . الغير متقلب . الدائم الوجود فى الماضى وفى المستقبل .

المالىء الكون الذى لا يمكن لأية صورة فى العالم أن تعطى أقل فكرة عن عظمته الغير متناهية . الموجود فى كل مكان . الذى لا يمكن إدراكه فى أى مكان » ، وأن هذه الوحدة الإلهية لم تظهر حقيقتها إلا فى العائلة العشرين (كتاب الحضارات الأولى تأليف جوستاف لبون ص ٢٦٢ و ٢٦٣) .

٣ – عقيدة التثليث فى الديانة المصرية :

كان المصريون يؤمنون بثالوث مقدس لأن الإلوهية المصرية مع وحدانيتها تمثل على شكل ثالوث ؛ وهذا الثالوث يتكون من أب وأم وابن والثالوث المصرى الأوحد هو الممثل لاوزيريس وايزيس زوجته وهورس ابنها ، وأن هذا الثالوث هو الإله الأعظم لجميع مقاطعات مصر (الحضارات الأولى ص ٢٧٠ و ٢٧١) .

٤ – عقيدة البعث والخلود والثواب والعقاب :

ومن المعتقدات المصرية ما له علاقة بحفظ أجساد الموتى وتحنيطها وهى الدالة على عقيدة الخلود (الحضارات الأولى ٢٧٤ و ٢٧٥) إذ كانوا يعتقدون بخلود النفس وبحياة أخرى بعد الموت ، ولذا قاموا بتحنيط الأجساد وحفظها لهذا الغرض .

فالحيـــاة المستقبلة كانت أعظم إهتمـــام مصر ، فهى لا ترى فى الحيـــاة الأرضية إلا ممراً قصير الأمد يؤدى إلى حياة لاحد لها وأن الزمن المحدود بين الولادة والموت ليس بشىء بجانب الحياة المتقدمة والمستقبلة للجنس البشرى (الحضارات الأولى ص ٢٦٧) .

وكانوا يعتقدون أيضاً فى محاكمة النفس بعد الموت إذ أنهم يقولون إن النفس بعد مفارقة الجسد تقف أمام المحكمة الآلهية وتهيم مدة أجيال عديدة

عرضة لألف تجربة قبل أن تتمتع بالمجد السمائى أو تلقى فى اليم ، لأنهم يعتقدون بوجود نعيم وجحيم لهذا الغرض (الحضارات الأولى ص ٧٧ ٢) .

٥ - معمودية التوبة والتطهير بالرش والغسل :

جاء فى كتاب عبادة الآلهة فى الأسكندرية تأليف ج . لافاييه عن معمودية التوبة والتطهير من الخطايا بالغسل والرش ما يأتى : -

(١) معمودية التوبة أو الغسل بالماء - إن أول الإختبارات الإستغفارية التى تنقى النفس من خطاياها هو التطهير بالماء . ويقول عنه ماروى (Maury) إنه العماد . فيقود الكاهن الأكبر طالب الغفران متبوعاً بموكب من المؤمنين إلى حمام موجود بجوار المعبد وهناك يغطس الطالب المذكور فى حوض مخصص لهذا الغرض ثم يقوم الكاهن المرشد بتلاوة صلاة خاصة إلى الآلهة ثم يسكب الماء على كل جسم طالب المغفرة وبعد ذلك يعودون به إلى المعبد حيث يسجد أمام صورة إيزيس ثم يلقن بعد ذلك بالأسرار المقدسة الفائقة الوصف .

(Culte des divinitesd' Alexandrie ص ١١٠) .

(ب) التطهير برش الماء - إن الإحتفال بتقديم القربان الذى يلى الأحتفال الأول هو أهم جزء فى الحفلة ، وله ميزة خاصة فلا يقام الإحتفال به أمام مقصورة الآله بل فى ساحة المعبد الموجود فيها مذابح أخرى مختلفة ، فيدور الكاهن حولها وهو يتلو الصلاة المعتادة ويرش الماء المأخوذ من عين سرية جارية بلا شك من النيل لأن مياه النيل كانت تنقل وتحفظ كسائل خاص مقدس ، وكانت توجد صهاريج لهذا الغرض فى معابد الأسكندرية (ص ١١٤) .

(جـ) تقديس المياه – إن الشخص الرئيسى فى مشمهد تقديس المياه الذى يستلفت النظر هو الكاهن القائم أمام مقصورة الإله فى المعبد والذى يلزم مكانه واقفاً حاملاً بين يديه المرتفعتين نحو صورة جرة ملفوفة فى ثنايا جلبابه كأنه يقوم بتقديمها إلى الحاضرين ليقدموا لها الإكرام والتعظيم . ولم يكن هذا الكاهن سوى صورة الإله نفسه . وكانت هذه الجرة تحوى المياه التى يعتبرها المصريون أنها سايلة من أوزيريس وأنها الأساس فى خصب الطبيعة على مارواه بلوتارخوس (ص ١١٥) .

٦ – علامة الألوهية :

وكانت عـلامة الألوهية فى الديانة القديمة هى علامة الصليب ذى الرأس المستديرة ويرمزون به إلى الحياة (تاريخ مصر القديمة ص ٢٥٦ A) .

٧ – نبوة مجىء المسيح على الأرض وميلاده العجيب :

يعتقد المصريون أن العجل أبيس الذى يشترك مع بتاح الإله الشمس المنفيسى الذى يرمز به لقوة الإبداع والخلق ، يشترك مع الآلهة فى طهارة مولده فيعتقدون فيه أن البقرة البكر الطاهرة حملت من شعاع الشمس فولدت بلا دنس هذا الحيوان الطاهر (كتاب الإنسان والأرض جزء ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠) .

وهاك ما قاله هيرودوت المؤرخ الشهير عن العجل ابيس الذى كان هيكله موجوداً فى منف ، وكان معبوداً من جميع سكـان مصر : « إن هذا العجل ابيس هو عبارة عن ثور صغير ، الذى لا يمكن لأمه أن تحبل غيره . ويقول المصريون إن شعاعاً من السماء حل فيها وإنها حملت من هذا الشعاع بالعجل ابيس (الحضارات الأولى ص ٢٧٣ و ٢٧٤) .

٨ – الخلاصة النهائية :

إن وجود كل هذه العقائد عند المصريين سهل عليهم قبول الدين المسيحى لأنه فى الحقيقة لم تكن الديانة المصرية القديمة سوى ديانة رمزية ترمز إلى الدين المسيحى ، وتتنبأ بطريق الألهام والوحى الألهى كما تنبأت به أيضاً الديانة الموسوية ورمزت لها كتب العتيقة عند اليهود فانتشر بين المصريين الدين المسيحى بسرعة عجيبة أدهشت العالم بأسره .

الفصل الثامن

بدء الكرازة بالأنجيل فى الديار المصرية

١ – مذبح للرب فى وسط أرض مصر :

« يكون مذبح فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها . فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر فيعرف الرب فى مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به »(إشعياء ١٩ : ١٩ – ٢١) .

هكذا قال إشعياء على لسان الوحى الإلهى ، وهكذا تنبأ هذا النبى عن القديس مرقس وأعماله فى مصر ونجاح كرازته فيها . فتمت كل الأمور التى تنبأ بها على هذا البشير الطاهر ، وبارك الله غيرته بشكل عجيب لأن الأرض التى كان ظلام الكفر يغمرها وضلال العبادة مسدولا عليها إستحالت بتبشير هذا القديس العظيم والإنجيلى الطاهر إلى جنة سمائية تشرق فيها شمس البر .

٢ – مجيء القديس مرقس إلى مصر بالهام الروح القدس :

أثناء وجود مرقس البشير فى برقة كشف له الروح القدس أن يخرج إلى الأسكندرية ذات المنارة ويبذر فيها الزرع الصالح كلام الله ، وصار مرقس الإنجيلى مثل الشجاع والمجاهد فى الحرب وقبل الأخوة كلهم وقال : أمرنى

الرب يسوع المسيح أن أسير إلى مدينة الأسكندرية وأنـادى هنــاك بالإنجيــل (كتاب تاريخ ص ١٣٠ R و١٢٩ V و ٢ تاريخ ص ١٦٠ VR) .

٢ – نجاح مرقس البشير فى الديار المصرية :

لما ألقى القديس مرقس البشير البذار وجد أرضاً مهيأة ، لإنبات محصول خصب . فلقد آمن بدعوته من الرجال والنساء فى البلاد التى حل فيها العدد الكبير ثم قال له الله : قم وإمض إلى مدينة الأسكندرية لنزرع فيها الزرع الجيد الذى هو كلام الله » فقام تلميذ المسيح وتقوى بالروح القدس كما رواه أبو شاكر الراهب .

وصل مرقس إلى الأسكندرية فى سنة ٦١ م غ كما تقدم دكره ، قادماً من بلاد المغرب بعد أن نشر كلمة الخلاص فيها وفى ليبيا والواحات والصعيد والأماكن الأخرى التى حل بها أثناء السير فى طريقه حتى يوم دخوله المدينة العظمى عاصمة البلاد المصرية .

ولما إقترب من المدينة دخل من بابها فى الميناء الشرقية حيث كانت المسلتان موجودتين ، وعلى أثر دخوله أرض المدينة رأى حذاء قد تهرأ من طول السير فمال إلى إسكافى إسمه انيــانوس لكى يصلحه .'وإذا بالإسكافى وهو قائم بإصلاح الحـذاء أن دخل المخراز فى أصبعه فأدماها فصاح للوقت مستغيثاً أى الله الواحد . وقد إختلف المؤرخون فى نص كلمة إستغـاثته ، فالبعض قال إنه صرخ قائلاً أقدوس الله أو والبعض قــال الله الواحد أى الله الواحد أو إله واحد ، وأجمعت الأكثرية على .

وكانت هذه الكلمات التى نطق بها الإسكافى انيانوس فرصة صالحة تهيأت لمرقس البشير فانفتح بها باب الأمل أمامه فقال : « الآن علمت أن الرب سهل طريقى » (ابن المقفع ص ١٥ VR وفوه ص ٥ VR) .

٤ – إرشاد انيانوس الإسكافى :

ماطرقت كلمة الله الواحد سمع مرقس حتى أهتز فرحاً وسروراً عندما سمع الإسكافى يذكر إسم الله الواحد وسأله عن مقدار معرفته بالله الذى إستغـــاث به فلم يلق منه جـــوابا يؤيد إدراكه معنى مالفظ به حينما شعر بالألم من المخراز ، فحول مرقس وجهه إلى الشرق وصلى بحرارة قـــائلاً : « ياسيدى يسوع أنت الذى تسهل طريقى فى كل مكان » ثم أخذ طينا وتفل فيه ووضعه موضوع ثقب المخراز وقال : « بـــإسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد الحى الأبدى تعـــافى يد هذا الإنســـان فى هذه الســـاعة ليمجد إسمك القدوس » . فاستجاب الله لندائه وابرأ جرح الإسكـــافى فى الحـــال . وكانت هذه الآية باكورة معجزاته التى عملهـــا فى مدينة الأسكندرية بقوة ومعونة السيد يسوع المسيح . ولما رآها انيـــانوس ظن أنه ملك كريم قد أرسل له ، لكن مرقس أزال ذلك من فكره قـــائلاً إنه لم يكن إلا عبد الإله الذى إستغاث به وإستعان بقوته فى شفائه .

ثم بدأ البشير من تلك اللحظة يسأل انيانوس قائلاً : « إذا كنت تعلم أن الله واحد فلماذا تعبد هذه الآلهة الكثيرة ؟ » فأجابه الإسكافى قائلاً : « نحن نذكر الله بأفواهنا لا غير ولا نعرف من هو » . فأخذ البشير يعلمه ويكشف له عن حقيقة الإله الواحد الذى نطق بإسمه دون أن يعرفه وصار يكرز له ببشارة السيد المسيح . فاستولى العجب على انيانوس من أمر شفاء أصبعه فى اللحظة ، كما إندهش من قوة الله الحالة فى القديس مرقس وقال له : « يا رجل الله أسألك أن تسير إلى منزل عبدك لتستريح وتأكل خبزاً لأننى أراك اليوم قد رحمتنى » ففرح القديس وأجابه قائلاً : يعطيك الرب خبز الحياة فى ملكوت السموات » . وقبل دعوة انيانوس ومضى معه إلى بيته . فلما دخل مرقس الكـــاروز منزل

الإسكـــافى قال : « بركة الله تكون فى هـــذا البيت » ثم قدم له الطعام فأكل ، وبعد الإنتهاء من الأكل أخذ الإسكـــافى يسأل عما خفى عليه من الحكم الإلهية ، وعما يعرفه عن حقيقة الإله الذى يعبده ، والذى استجـــاب لندائه فى الحـــال قائلاً : « ياأبى أريد أن تعرفنى من أنت الذى يملك القيام بالمعجزات » فأجاب القديس وقال له : « أنا عبد يسوع المسيح ابن الحى إلى الأبد » . قال له الإسكافى : « أنا أريد أن أبصره » فأجابه مرقس البشير : « أنا أدعك تنظره إن آمنت به » وأخذ يقص على انيانوس ما كان من الأمر الإلهى وما تنبأ به الأنبياء عن مجىء السيد المسيح وتأنسه وولادته من العذراء مريم وزهده وطهارته وقيامه بتعليم الشعب وشفاء المرضى وإقامة الموتى وإحتمال الآلام والصلب والموت وقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات فى سبيل خلاص جبلته البشرية . فاندهش الإسكافى وقال له : إنى لم أسمع قط بالكتب التى تذكرها لى ، وإن كتب الفلاسفة اليونانيين هى التى يعلمها الناس فقط لأولادهم فى مدينة الأسكندرية ، وكذلك المصريين » . فقال له القديس مرقس : « إن حكمة فلاسفة هذا العالم باطلة عند الله » .

فلما سمع الإسكافى منه هذه الحكم الألهية وكلام الكتب المقدسة وعلم بما منحه الرب يسوع لتلاميذه من القوة والسلطان وصنع العاجيب ورأى ما عمله القديس تلميذ الرب من ابراء جرحه ، مال قلبه إليه وقبل منه بشرى الخلاص وآمن وإعتمد (ابن المقفع ١٥ V و١٦ VR وفوه ٥ V و٦ R) .

٥ – تأسيس الكنيسة المسيحية فى الأسكندرية :

بعد أن آمن الإسكافى انيانوس وإمتلأ من النعمة الألهية أخبر أهل بيته بما حدث على يد القديس مرقس ضيفه الكريم وما بشره به ففرحوا جميعاً

بالقديس وقابلوه وسألوه أن يكشف لهم الغطاء عما هو مستور عنهم ويعلمهم بما بشر به عميدهم أنيانوس فأخذ يبشرهم ببشرى الخلاص ، فأثمرت كلمته فيهم . ولما أعلنوا قبولهم الإيمان بالسيد يسوع المسيح عمدهم جميعاً وباركهم ، وبهذه الخميرة الجيدة أختمر العجين كله . فكانت فاتحة الخير العظيم الذى عم الأقطار المصرية بإنتشار الديانة المسيحية فى جميه أرجائها حتى صحاريها .

ولم يكن عدد المسيحيين فى أول الأمر إلا قليلاً جداً فأجتذب مرقس بفصاحته وقوة إقناعه التى يمكن ملاحظتها من خلال مطالعة إنجيله المقدس قلوب سكان الأسكندرية وتمكن من تأسيس الكنيسة فيها ، ومن ثم إنتشر الإيمان فى المدينة بقوة الله العلى .

٦ – تطور أخلاق المصريين بعد الإيمان :

أخبر المؤرخون المسيحيون وفيلون اليهودى أيضاً أن هذا الرسول وتلاميذه المسيحيين كانوا زاهدين فى العالم لا يكترثون لشيء من حطامه وإنما كانوا يهتمون بمجد الله فقط وكانوا جميعاً متحدين بمحبة صادقة وفائزين بسلام الأرواح السمائية ، ولم يعد بينهم تمييز بين الفقير والغنى لأن الأغنياء منهم كانوا قد أعطوا أموالهم للفقراء لكى يفتكر كل واحد فيما يجعله غنياً بالله ، ولم يكونوا يتناولون مأكلاً سوى مرة واحدة كل يوم وذلك بعد غروب الشمس ، وبعضهم كانوا يصومون ثلاثة أو خمسة أيام دون أن يأكلوا شيئاً . وكان مأكلهم الخبز ومشربهم الماء لا غير وذلك كان للرجال والنساء على حد سواء ، وعبقت روائحهم الذكية فى جميع الأنحاء (مروج الأخيار وأخبار القديسين لمكسيموس مظلوم تذكار ٢٦ نيسان) .

وقد جاء فى كتاب التاريخ القديم تأليف هارفى بورثر : « إن من أعظم أسباب تقدم كنيسة المسيح فى مصر وغيرها من البلدان بسرعة فساد الأديان اليونانية والرومانية الوثنية التى كانت مصحوبة بالأوهام والخرفات والحيل والأكاذيب حتى أن من تأمل فيها قليلاً يمكنه أن يدرك بطلانها فلا يعود إلى إعتبــارها ، وذلك بعكس ماشاهده المؤمنون من طهارة الحياة المسيحية وإستقامة سيرة إتباعها الذين أضحوا عرضه لبعض المتصلفين وحقدهم عليهم لمجرد طهارتهم » .

وقد إشتهر الذين أعتنقوا الدين المسيحى بجميل الخصال وحسن السلوك مع مواطنيهم ، وعرفوا بدماثة الخلق واللطف والدعة وصدق المعاملة وإنكار الذات والزهد فى العالم والمحبة للغير والإحسان إلى المسىء وهى أدهشت الوثنيين وأثرت فى نفوسهم تأثيراً عظيماً فكانوا إذا وجدوا وثنياً منهم على شىء من هذه الصفات الجميلة قالوا إنه مسيحى أو إنه عاشر مسيحياً واقتبس من فضائله (منتخبات لجنة التاريخ القبطى) .

الفصـــل التاسع

تأسيس الكرسى الأسكندرى
وتعيين بطاركته

١ – إقامة المجمع الأسكندرى :

لقد أثمر غرس مرقس كاروز الديار المصرية ونما بسرعة نمواً عظيماً بكثرة أدهشت العالم أجمع ، وكثر المؤمنون بالمسيح بهمة هذا الرسول وتلميذه انيانوس الإسكافى وأهل بيته الذين أخذوا يعلمون فى نشر كلمة الخلاص ويبشرون بالأنجيل فى الأسكندرية خاصة ، وسمع أهالى المدينة أن رجلاً يهودياً جليلياً قد وصل إليها ويريد أن يقلب عبادة الأوثان آلهتهم ويزيل من الوجود الأصنام معبوداتهم ، وأنه تمكن فعلاً من أن يمنع جماعات غفيرة من أهالى المدينة من تأدية فروض العبادة وفقاً لديانتهم الوثنية فطلبوه فى كل مكان . كما شعر أيضاً أرباب الحكم الوثنيين بسرعة إنتشار الدين المسيحى ، فثارت حمية غضبهم فى قلوبهم لأنهم خشوا من أن يتأثر سلطانهم فتضعف قوته ويزول الحكم من بين أيديهم ، ونهضوا باحثين عن مرقس البشير الطاهر للقبض عليه ونصبوا له قوماً يرصدون حركاته وتنقلاته . فلما أحس القديس بذلك أخذ يرتب كل شىء فى الأسكندرية وينظم الكنيسة ويضع أساس بنيان الكرسى الإسكندرى ليكون ثابتاً إلى الأبد . فرسم انيانوس ، بكره فى الإيمان ، أسقفا

فى سنة ٦٢ ميـلادية وأقام معه قسوساً وشمامسة (سنكسار ٣٠ برموده) حتى يكونوا له عوناً فى تشييد مذبح الرب . وجـاء فى تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع أن مرقس قسم انيانوس اسقفا على الإسكندرية ورسم معه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة وجعل هؤلاء الأحدى عشر يخدمون البيعة المقدسة ويثبتون الأخوة المؤمنين ويباشرون نشر كلمة الخلاص (كتاب ١٣ تاريخ ص ١٦ V) .

وجاء فى كتاب سير الرسل والبشيرين أنه لما علم الطوباني مرقس بمؤامرة الوثنيين قسم انيانوس بطريركا وقسم ثلاثة قسوس وهذه أسماؤهم : مليوس وكردونس ويريموس ورسم سبعة شمامسة وأقام الإحدى عشر رجلاً لخدمة البيعة وخرج إلى برقة (كتاب ٢ تاريخ ص ١٦٤ R و ٣ تاريخ ص ١٦١ V و ٦ تاريخ ص ١٦٤ V بالدار البطريركية) .

وقال أبو شاكر بن الراهب شماس المعلقة من رجال الجيل الثالث عشر فى الباب الخمسين من كتاب التواريخ : « فلما كثر المؤمنون بالمسيح وتآمر على مرقس الوثنيون رسم انيانوس اسقفا وثلاث قسوس وسبعة شماسمة وخرج من عندهم ومضى إلى الخمس مدن الغربية » (ص ٢٠٨ R) .

٢ – رسامة البطاركة :

يقول سعيد بن بطريق البطريرك الإسكندرى الملكى الملقب بافتيخوس (من سنة ٩٣٣ إلى سنة ٩٤٠ م) إن مرقس البشير صير مع حنانيا (انيانوس) البطريرك أثنى عشر قسيساً يكونون مع البطريرك . وإذا عدم البطريرك يختارون رجلاً فاضلاً فيصرونه قسيساً معهم بدل الذى صار بطريركاً ليكونوا أثنى عشر أبداً . ثم زاد على ذلك بالقول إن الحال فى إنتخاب البطاركة ظل

على هذا المنوال حتى أيام الكسندروس بطريرك الإسكندرية الذى كان فى جملة ال ٣١٨ المجتمعين بنيقيه فإنه منع هذا التقليد وأمر فى حالة موت البطريرك أن يجتمع الإساقفة لإختيار البطريرك ويقومون بدل القساوسة برسامته ، وأمر أن يختار البطريرك من أى بلد كان ، وأشترط فيه أن يكون رجلاً فاضلاً أو أن يكون من أولئك الإثنى عشر قساً أو غيرهم ، فمن يرضى حاله يصلحون بطريركا . ومن هذا الحين إنقطع قيام القساوسة بإصلاح البطريرك وجرى الأمر للأساقفة للقيام بهذه المهمة (كتاب التاريخ ص ٩٥ و ٩٦) .

وقد أيد هذه الرواية الشيخ المؤتمن أبو المكارم جرجس بن مسعود من رجال القرن الثالث عشر فى كتاب الأديرة والكنائس (ص ٩٥ VR) .

أما المصدر الذى إستقى منه هذا المؤرخان (افتيخوس وأبو المكارم) فهو الرسالة ٤٦ التى كتبها ايرونيموس أحد رجال الكنيسة فى الجيلين الرابع والخامس الميلاد حيث قال فيها : « منذ قيام مرقس الإنجيلى بتبشير الأسكندرية حتى عهد بيراكلاس وديوينسيوس كان القسوس ينتخبون أحدهم ويقيمونه أسقفاً على الأسكندرية » ، ولكن هؤلاء القسوس لم يكونوا قسوساً عاديين بل كانوا يتمتعون بأهم إمتياز يمتاز به الأساقفة وهو وضع اليد . وقد إعتبرتهم الكنيسة أساقفة أو على الأقل قسوس أساقفة يملكون حق إقامة أسقف الأسكندرية أسقفهم الأول خليفة رسل الرب وتلاميذه لأن كلمتى أسقف وقسيس كانتا فى صدر المسيحية تؤديان معنى واحداً . فلقد جاء على لسان الرسول أنه بعث من ميليتس إلى أفسس وإستدعى « قسوس » الكنيسة . ولما أتوه قال إحترزوا لأنفسكم والرعية التى أقامكم الروح القدس عليها أساقفة (أعمال ٢٠ : ١٧ و ٢٨) وقد جاء عن لسانه أيضاً فى رسالته لتلميذه تيطس أسقف كريت : « إنما أنا خلفتك فى كريت لتصلح الأمور الناقصة وتقيم

« قسوساً » لأنه يجب أن يكون الأسقف والقسيس واحد فى العصر الرسولى وما بعده . ومنعاً لكل لبس فيما ذهب إليه ايرونيموس فى التعبير بلفظة قسوس فى رسالته المتقدم ذكرها قال القديس ابيفانيوس المعاصر له : « إن فى إستطاعة القسوس العاديين أن يقدموا للكنيسة أولاداً بواسطة العماد ولكن ليس فى مقدورهم أن يقدموا لها آباء لأن الأب أعظم من الأبن ومصدره » .

وبناء على ذلك لا يمكن إعتبار القسوس الذين أقامهم مرقس إلى جانب أنيانوس قسوساً عاديين ، لأن وضع اليد وقف على الأساقفة دون غيرهم من الرتب الكنســـية التى هى رتبة الأســقفية ، وهم يعتبرون فى حكم رتبة الخـــورى بيسقوبوس .

وظل الحال هكذا فى الكنيسة سائراً على إعتبار رتبة القسوسية أسقفية فى وقت واحد بلا تمييز بينهما وأصبح فى البيعة فى عهد مرقس ثلاث درجات : الأسقف الأول خليفة الرسول الذى عبر عنه فيما بعد بالبطريرك ، والقسس الأساقفة ، ثم الشمامسة وإستمر العمل به إلى أيام البابا ديمتريوس الكرام البطريرك الثانى عشر فى عدد البطاركة ، ففصل بين رتبة الأسقفية ورتبة القسوسية ، وجعل لكل منهما إختصاصات معينة وإمتيازات محددة وقام فى أيامه برسامة الأساقفة المستقلين بما للوظيفة من الأختصاص ليكونوا رؤساء على القسوس العاديين وأقامهم على سائر بلاد مصر وأعمالها نظراً لإتساع نطاق التبشير وإنتشار كلمة الخلاص (أبو المكارم فوليو ٩٥ A وأو صالح الأرمنى فوليو ٢٣ B) .

٢ – الرتب الكهنوتية فى الكنيسة :

لم يكن فى مصر إلى أيام البابا ديمتريوس الكرام سوى أسقف واحد ، كان حائزاً للدرجة المميزة للأسقفية المستقلة وهو البطريرك فكان القسس الأساقفة يضعون اليد على أسقفهم الأول عندما كانوا يقيمونه .

وقال سعيد بن بطريق فى كتاب التاريخ (ص ٩٦) إنه لما صار ديمتريوس بطريركاً أصلح ثلاثة أساقفة رؤساء ، وهو أول بطريرك بالأسكندرية أصلح الأساقفة المتازين وبعد نياحته تولى على الكرسى الأسكندرى ياراكلاس فى ٥ نوفمبر سنة ٢٣٠ ميلادية وأصلح عشرين أسقفاً ، وهو أول من نعت بلقب بابا من بين بطاركة الكراسى الرسولية .

وبعد ذلك أمر البابا الكسندروس البطريرك التاسع عشر بمنع قيام القسس الأساقفة أصحاب الرتب القديمة بإصلاح البطريرك وخص الأساقفة المتازين بوضع الأيدى وحجر على قسوس النظام القديم ممارستها وجعل وجودهم فى وقت الرسامة خداماً للأساقفة الذين إنفردوا بهذا العمل ، ونشأ عن ذلك إيجاد درجتين متميزتين فى الكهنوت : الأولى درجة الأسقفية والثانية درجة القسوسية (المجموع الصفوى ص ٥٧) وذلك حفظاً للنظام وحرصاً على عدم إيجاد تنازع إختصاص مستمر إذا ترك كل من الرئيس والمرؤوس بلا إمتياز بين أحدهما والآخر ، ولذلك نشأت فى الكهنوت الرتب الآتية : -

أولاً - رتبة الأسقفية : وتحتوى أربع درجات وهى البطريرك والمطران والأسقف والخورى بيسقوبوس ، وهى تمتاز بوضع اليد ما عدا الأخيرة فيقتضى على صاحبها إستشارة أسقفه فيما يجريه ، والسماح له بذلك (المجموع الصفوى ص ٥٨) .

ثانياً - رتبة القسوسية وهى درجتان الأولى وظيفة القمص وهى معربة من كل كلمة ايغومانوس ومعناها المدبر ، ويلقب أيضاً بالشيخ المؤتمن ، والثانية وظيفة القسيس أى الراعى أو الشيخ وقد منح لصاحبى هاتين الرتبتين ما هو ممنوح للأسقف ما عدا وضع اليد الذى خصت به رتبة الأسقفية فقط (المجموع الصفوى ص ٥٨) .

ثالثاً – رتبة الشماسيه وهى للخدمة فقط وتحتوى على عدة وظايف يقوم أصحابها بتأديتها أثناء الخدمة فى البيعة وهى الأرشيدياقون أى رئيس الشمامسة ، والدياقون الشماس ، والأبودياقون أى مساعد الشماس ، والأغنسطس والأبسلطس أى المرتل .

٤ – إختيار البطاركة :

أما نظام إختيار البطاركة بعد العهد الرسولى والأجيال الأولى فقد أوضحه شمس الرئاسة أبو البركات قسيس المعلقة المعروف بابن كبر فى كتاب مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة فى الباب العاشر إذ قال :

« أن يكون إنتخاب البطريرك بإتفاق أهل الإختيار من أعيان رؤساء الأراخنة الفضلاء الإختيار التامين فى أسنانهم الكاملين فى إيمانهم المعروفين بصحة أذهانهم وعدم أدهانهم (غشهم) وجودة إمتحانهم ووثوق الأكثرين بهم فى كل ما يقلدونه وإعتماد الجماعة فى من يعينونه لديانتهم المتينة وحسن أنتقائهم الذى لا يبهرجه الأعتبار ولا ينافى خبرة الأختيار . ويكون المختار ممن يرضاه أكثر أهل طائفته ويحتارون بعدم رئاسته بعد علم المختارين له بإشتماله على أقسام الأهلية المنصوص عليها : « أصله وأبوته ونسكه وبتوليته ودينه وعقيدته وحواسه وعقله ونفسه وجسده وعلمه ودرايته ودربته وفضله وسياسته وثبوت إستلائه من الفضائل وإعتلائه عن الرذائل عند العلماء بالعلم والعامة بالتقليد والمؤالفين باشهارالفضل والمخالفين بتواتر النقل » . وإذا ما عينت جماعة لهم بهذه المزية أمعن النظر فى الترجيح وأختير منهم من يميز الإمتياز الصحيح من المساوين فى الحال المتماثلين فى الفعال وعملت لهم قرعة بأسمائهم ثم توضع فى هيكل الرب فى أول القداس وعند فراغه نرفع منه ورقة واحدة على يد صبى طاهر أو

قديس ماهر من يكون حاضراً فى الوقت الحاضر . ومن إختاره الله من المعينين الدين حصل الإتفاق عليهم أو الركون إليهم تقدم كالوضع والعرف الدينى ويكون بطريركاً بحضور من تهيأ من الأسقفة إما جميعهم أو أثنا عشر منهم ، وأقل من يعتبر حضوره منهم إذا تعذر إجتماعهم لأسباب مانعة وضرورات قاطعة ، أسقفان . ولا يكرز من أسقف واحد جملة ، وليس للأساقفة سوى التكريز ، وإما التعيين فإنه للأراخنة المعتبرين الذى يكونون بأهل الأقليم عارفين » .

وقد أوضح الصفى بن العسال فى مجموع القوانين واخواه فى كتاب أصول الدين ومسموع محصول اليقين أن الأنتخاب للشعب ، وما على الأساقفة سوى وضع اليد والأشتراك فقط .

٥ – تلقيب البطريرك الأسكندرى بالبابا :

قال ابن بطريق الملكى ونقل عنه أيضاً أبو المكارم والمقريزى أن بطريرك الأسكندرية سمى بابا ومعناها الجد أى أب الآباء ، لأنه من حنانيا الذى أصلحه مرقس البشير إلى وقت إنتخاب ديمتريو س بطريرك الأسكندرية الثانى عشر لم يكن عمل فى مصر أسقف (أى خلاف الأسقف الأول أو البطريرك) لأنه لم يكن هناك أساقفة بالمعنى الذى نعرفه الآن بل كان الموجود منهم قسس ، أطلق عليهم فى الوقت ذاته أساقفة وصاروا يمارسون عمل الأساقفة ويؤدون إختصاصاتهم كما تقدم بيانه فأصبحوا يجمعون فى شخصهم الوظيفتين معاً) .

فلما صار ديمتريوس بطريركاً أصلح ثلاثة أساقفة وهو أول بطريرك بالأسكندرية عمل أساقفة (أى أساقفة مستقلين مثل أساقفتنا فى الوقت الحاضر) .

ولما صار ايريكلاس بعده بطريركاً أصلح عشرين أسقفاً فخالف واحد من هؤلاء الأساقفة الشريعة فاتصل خبره بالبطريرك ايريكلاس الثالث عشر فى عدد البطاركة فجمع جماعة من الأساقفة وسار إليه وكشف عن مقالته ورده إلى الحق فسمع العامة يدعون البطريرك أبا فقالوا إذاً نحن نسمى أبا والأسقف يسمى البطريرك أبا فيجب علينا أن نسمى البطريرك أب الأبا أو البابا أى الجد (ص ٩٥ و ٩٦) لأنه أب لأبينا الأسقف فانطلق من عهد هذا البابا على البطريرك الأسكندرى ، قبل بابا روميه بزمن كبير الذى عرف فى ذلك الحين بلقب الحبر أسقف رومية فقط ، ولكنه تسمى بالبابا تشبهاً بالبطريرك الأسكندرى الذى حمل هذا اللقب وأمتاز بحمله عن باقى البطاركة منذ القدم .

٦ – بابا الكرازة المرقسية هو أسقف مدينة الأسكندرية :

قد تسلمت الكرازة المرقسية منذ عهد تأسيسها إلى يومنا هذا تقليداً يقضى بأن يكون بابا الكرازة المرقسية وبطريرك الديار المصرية هونفسه أسقف مدينة الأسكندرية ، لأن أول كنيسة أنشئت فى الأقطار المصرية كانت فى مدينة الأسكندرية ، ولأن أسقف الأسكندرية هو الأسقف أو رئيس الأساقفة للكرازة ، ولذلك لا يجوز أن يرسم على الثغر الأسكندرى أسقف خلاف البابا البطريرك ، بل يقام له وكيل يحمل لقب وكيل الكرازة المرقسية ، كما قضت بذلك قوانين الكنيسة حيث جاء فيها بالنص الصريح عند ذكر شروط إقامة البطريرك إسم البطريرك الأسقف لأنه أسقف مدينة كرسيه ، وإنه لذلك لا يعمل بطريرك كرسى الأسكندرية ، أسقفاً للأسكندرية (المجموع الصفوى ٤ : ٣٣) .

الفصـــل العاشر

إستئناف أعمال
مرقس مع الرسل

بعد أن أسس مرقس كنيسة الأسكندرية وأقام لها أسقفها الأول ورتب أمورها وعين لها مجمعاً مقدساً من الأساقفة القسس والشمامسة ، خرج من الأسكندرية وسافر إلى روميه وقابل بطرس (١ بط ٥ : ١٣) . وقد كان بولس الرسول هناك أيضاً وإكتسب محبته ثانية ونال ثقته ، ومنها ذهب إلى أفسس حيث تيموثاوس ثم رجع إلى رومه بناء على طلب بولس إياه (كو ٤ : ١٠ و ٢ تى ٤ : ١١ وفل ٢٤) ولم يتركها إلا بعد إستشهاد الرسولين بطرس وبولس سنة ٦٥ قام أكويلا فى بلاد إيطاليا وبشر فيها بأنجيله الذى كتبه فى روميه بالأفرنجية وخـلد مرقس لذكراه فى هذه البلدة آثاراً عظيمة وأعمالاً مشهورة وخدمات مذكورة ، وعاد بعد ذلك إلى الأسكندرية .

الفصل الحادى عشر

عودة القديس مرقس البشير إلى
الديار المصرية

١ - تكريس بناء الكنيسة الأولى المسيحية بالاسكندرية .

لما عاد القديس مرقس فى سنة ٦٥ ميلادية من رومه وجد أن كلمة الخلاص قد إنتشرت بنعمة الله فى الاسكندرية والديار المصرية ورأى أن عدد المسيحيين قد إزداد كثيراً ونما نمواً كبيراً ، ووجد أن الفضيلة والطهارة وأعمال البر والنسك والزهد قد شملت الجميع ، كما وجد أن المؤمنين اهتموا ببناء كنيسة فى موضع البوكليا الذى يعرف بدار البقر أو مرعى البقر لكثرة الغاب والأعشاب البحرية النابته حولها بكثرة لقرب المكان من شاطىء البحر فى موضع مقطع الحجارة تحت صخرة (كتاب ٢ تاريخ الرسل ص ١٦٤) ، وهى تعرف بإسم كنيســة القمحا ، وهى خلاف بيعة بيت انيانوس التى سميت بدير أسفل الأرض ، ففرح القديس بذلك فرحاً عظيماً وكرس لهم أول كنيسة مسيحية شيدت خصيصاً للعبادة فى المكان الذى اختاروه ، وهو نفس المكان المشيد عليه الآن الكتدرائية المرقسية الكبرى بالقرب من مكان المسلة بالأسكندرية وتعرف هذه الكنيسة بكنيسة المغارة (تخطيط الاسكندرية ص ١٠٠) .

وقال العالم برشيا مدير المتحف الروماني إن كنيسة الأسكندرية أسسها القديس مرقس وقد وجد فعلاً مقبرة بهذا الإسم بالقرب من الميناء الكبيرة وهى الميناء الشرقية الآن (دليل المتحف الروماني ص ٤٢) .

ثم قال أيضاً إن كنيسة القديس التي تحدد مكانها بالقرب من شاطىء الميناء الشرقية قد نسب إليها تيجان الأعمدة الرخامية التى من صنع الجيل الخامس للميلاد والمزين وجهها بنقوش من زهور ومشبكات ، والتي يوجد منها الآن ثلاث بالمتحف الروماني والرابع بالمتحف المصرى . وعندما استولى العرب على المدينة حرقت كنيسة مارمرقس وتم تجديدها في سنة ٦٨٠ م (ص ٤٥) .

وتعرف هذه الكنيسة بكنيسة المغارة وهى خلاف بيت انيانوس الذى اتخذه المؤمنون بيعة فيها يجتمعون لسماع كلمة الوعظ والإرشاد وممارسة سر الشكر . وقد عد هذا البيت أيضاً أول بيعة خصصت للصلاة فى القطر المصرى .

وقد سميت فيما بعد بكنيسة مارجرجس ثم أعيد اسمها الأصلى وهو مارمرقس أو المرقسية . وقد جاء فى كتاب تاريخ البطاركة عند ذكر حوادث الإسكندرية مدة ولاية الأمير المؤيد حصن الدولة وشجاعها ذو العزيمتين أبو تراب حيدره الكتامى الدمشقى المعاصر للباباخريسطوذولو : « أمر اليازورى أن تغلق بيعنا وبيع الملكية بالإسكندرية وكتب إلى الأمير المؤيد بذلك ولم يزل يردد رسله إليه إلى أن استقرت الحال على ألفى دينار فاحضرنا الأمير وأوقفنا على الكتب فشكرناه ودعونا له ثم شكونا له حالنا فى غلق البيع وإنقطاع الذين فيها فى أوقات الصلوات والقداسات فدفع لنا مفتاح كنيسة مارى جرجس التى كانت قديماً بيت ابينا انيانوس أول البطاركة ، وهو البيت الذى دخله البشير مارى مرقس الأنجيلى فى أول يوم دخل إلى الإسكندرية لما انثقب كف انيانوس بالمخراز وهو يومئذ إسكاف وأبرأه مارى مرقس وأضاف به فى هذا البيت وقال

لنا امضـــوا افتحوه هذه البيعـة وصـــلوا فيهـــا ســراً وادعـــوا لى »
(كتاب ١٢ تاريخ ص ٢١ V

وأطلق أيضاً على بيعة القديس مارمرقس بالإسكندرية اسم القمحا كما جاء ذكر ذلك فى سيرة البابا كيرلس الثانى البطريرك (٦٧) عندما قام بصرف ما حصله من إيراد نصف كرسى رشيد ومصيل الموقوفين على هذه البيعة فى نفقات عمارة بيعة القديس مارمرقس المذكورة المعروفة بالقمحا على يد يمين الأقمص لأنه كان رجلاً فيه خير ، وهو كان من اقرباء البطريرك وقد عمر كنائس كثيرة (كتاب ١٢ تاريخ ص ٦٠ R) .

٢ – القداس المرقسى .

القداس عند المسيحيين صلاة مخصوصة يتلوها الكاهن فى أوقات معينة وظروف خاصة لتقديس الأفخارستيا الذى هو سر الشكر ، وتعرف بالليتورجية ويسميها القبط أنافور وكتاب هذه الخدمة يعرف الآن بالخولاجى ، واللفظ الصحيح لهذا الإسم هو افخولوجى وهى كلمة يونانية معناها مجموع صلوات .

ويعرف القداس أنه مثال ما رسمه السيد المسيح لتلاميذه فى وقت الإحتفال بالفصح ليلة آلامه عن العشـــاء السرى ، مضافاً إليه الصلوات والأناشيد والأعمـال التى بواسطتها تعبر الكنيسة وتعلن عن عبادتها للبارى سبحانه وتعالى ، وهى عبارة عن الشكر والبركة والتقديس . وقد مارسه الآباء الرسل الأطهار وبولس رسول الأمم من بعد قيامة المسيح وصعوده إلى السموات .

ولكل كنيسة من الكنائس الشرقية القديمة واللاتينية ليتورجيا . فالليتورجية المصرية بالكنيسة القبطية تعرف بليتورجية الإسكندرية وهى المشهورة بليتورجية مرقس مؤسس الكنيسة المصرية .

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم إن القديس مرقس الرسول وضع قداسه في مصر . وقد قرر اللاهوتيان اسكندر روبرتس وجيمس دونالدسون في كتابهما عن الخدمة الكنسية أن قداس مارمرقس من أقدم ما وضع من نوعه ، وقد أخذ منه القداس الباسيلي والكيرلسي والغريغوري . وقال أبو البركات إن كيرلس اضاف اليه بعض عبارات (مجلة الكرمة جزء ١٠ ص ٣٥٥) .

وقد وضع القديس مرقس الإنجيلي كاروز الديار المصرية صلاة القداس باليونانية ثم ترجم إلى القبطية البحرية ولقنها شفوياً إلى خليفته انيانوس ، ومساعديه ميليوس وكردونس وبريموس وبقيت كذلك يتناقلها الخلف عن السلف دون أن تدون في كتب خاصة حتى سنة ٣٢٠ حينما قام البابا القديس اثناسيوس الرسولي البطريرك العشرين في العدد بتدوينها للقديس فرومنتيوس أول أساقفة اثيوبيا وجاثليقها الأعظم عندما سامه وبعث به إلى هناك .

ونسبت صلاة هذا القداس إلى البابا القديس كيرلس الأول والرابع والعشرين في عدد البطـــاركة ، نظراً لأنـــه دونهـــا كتابـــة وزاد عليهـــا بعض ترتيبات وصلوات .

٣ – إنجيل مرقس البشير .

قال بابياس تلميذ القديس بوليكربوس الشيخ وأول أساقفة ازمير إن أول من سطر حوادث وعجائب السيد المسيح هو مرقس الرسول ، وهذه شهادة صادقة صادرة من احد معاصري العهد الرسولي والذي كان متصلاً بالقديس يوحنا الرسول تشهد بكل وضوح علي أن بشارة مرقس الرسول هي أقدم عهداً من البشائر الثلاث الأخرى ، وعلى ذلك يكون إنجيل مرقس هو الإنجيل الأول ، بخلاف ما ارتأه البعض من أن إنجيل متى هو الأول .

ويرمز لأنجيـــل مرقس بالأسد المجنح وهو شعار الكنيسة المرقسية والكرسي الإسكندري .

وقال القديس ايريناوس اسقف فرنسا وتلميذ بوليكربوس ايضاً أن بطرس وبولس بشرا فى رومه وأسسا فيها الكنيسة وبعد انتقالهما من هذا العالم عالج مرقس لسان حال بطرس وتلميذه كتابة إنجيله الذى كان تزود مواضيعه من كرازة معلمه . وهذه ايضاً شهادة واضحة الدليل على ان القديس مرقس كتب إنجيله بعد إستشـــهاد الرسولين بطرس وبـولس فى ســنة ٦٧ م وقليل إنه كتبه فى بابيلون حوالى سنة ٥٨ م قبل توجهه للإسكندرية ، كما قيل أيضاً إنه كتبه فى رومية قبل سنة ٤٩ م .

ولقد أورد اوسابيوس فى تاريخ الكنيسة نقلاً عن باباياس واقليمنضس الإسكندرى أن القديس مرقس وضع إنجيله بناء على طلب مؤمنى رومية الذين تمنوا الحصول على ما بشرهم به بطرس كتابة (الكتاب الأول ٢ فصل ١٦) .

ويقول ساويرس بن المقفع فى تاريخ البطاركة إن مرقس الرسول كتب إنجيله بالرومى (قاصداً بذلك اللاتينية لا اليونانية) ، وكان بطرس هناك (أى فى رومية) (كتاب ١٢ تاريخ ٢٧ V) .

وقال اكليمنضس الإسكندرى إن مرقس كتب إنجيله بروميه ولكن حكمه فى هذه النقطة قليل الإعتبار بجانب حكم ذهبى الفم (كتاب الوضع الإلهى ص ١٥٩) وجاء فى دائرة المعارف البريطانية : إن ايريناوس قال إن إنجيل مرقس كتب بعد موت الرسولين بطرس وبولس . وهذه الحقيقة يمكن التسليم بصحتها بغير شك وقد كتب ذهبى الفم فى ميمره على أنجيل متى (١ : ٢) أن أنجيل مرقس قد دون فى مصر لا فى رومه ، ويظهر أن اكليمنضس على حق لأن مرقس كتبه باللاتينية (الرومى) فى رومه ، و كيرلس مقار له حق فى قوله إن مرقس كتب أنجيله باليونانية فى مصر كما سيأتى بيانه .

ويقول زيفينـــوس (Zebinos) الذى تولى الكرســـى الإنطــاكى فى سنة ٢١٧ م إن مرقس كتب أنجيله بالرومى وكان بطرس هناك وقرىء فى مجمع الملوك (كتاب ١٣ تاريخ ابن المقفع ص ٧٢ V) .

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية إن أنجيل القديس مرقس كتب بمصر (تفسير متى الخطبة الأولى : ٣) (الوضع الإلهى ص ٦٠) ويظهر من أقوال يوحنا ذهبى الفم أن الأنجيل المقصود هو أنجيل مرقس باللغة اليونانية .

وتوجد فى مدينة البندقية بايطاليا نسخة قديمة من أنجيل مرقس يقال إنها مكونة من ٢٨ ورقة ، ويزعمون أنها النسخة الأصلية التى كتبها هذا القديس بخطه ولم تكن مكتوبة على ورق بردى كما أدعاه الأبوان ما بيبون ومونفو كون ، ولكن صفيون مافى قال بعد فحصها انها من ورق القطن وأنها مكتوبة باللغة اللاتينية وليست اليونانية . وهذه النسخة كانت محفوظة فى اكويلا التى بشر فيها مرقس بأنجيله فاســـتولى شارل الرابع الأمبراطور على الثمـــانى ورقات الأخـــيرة من هذه النسخة فى سنة ١٣٥٥ م وأرســـلها إلى مدينة براغ (تشيكوسلوفاكيا) حيث حفظت فيها بعناية . أما العشرون ورقة الأولى فقد نقلت من اكويلا إلى مدينة البندقية فى سنة ١٤٢٠ م (مقدمة أنجيل مرقس للعلامة كلميت) (Calmet) .

ويقول ابن كبـــر إن مرقس كتب أنجيله بعد صعود المســـيح باثنى عشر سنة (أى نحو سنة ٤٥ م) باللغة الأفرنجية (ص ٤١ A) وقال أيضاً إنه كتبها فى رومية باللغة الرومية الأفرنجية فى السنة الرابعة لأقلوديوس قيصر بعد صعود سيدنا باثنى عشر سنة (ص ١١٨ B) .

وذكر ابن كبر فى كتاب مصباح الظلمة فى فصل تاريخ الآباء بطاركة الإسكندرية نقلا عن المنبجى أسقف منبج إن مرقس كتب الأنجيل باليونانية

لأهل الإسكندرية ، وكان قد كتبه بالرومية لأهل روميه والفرنجية قبل حضوره للإسكندرية (فوليو ٢٦٢ R) .

وذكر ابن كبر أيضاً فى تاريخه عن نفسه أن مرقس كتب الإنجيل باللغة الأفرنجية بعد الصعود بأثنى عشر سنة (أى فى سنة ٤٥ م) (فوليو R٤١) .

وجاء فى آخر أنجيل القديس مرقس البشير الوارد فى نسخة خطية من كتاب البشائر الأربعة المكتوبة باللغة العربية (وتاريخها ٤ طوبه سنة ١٣٢٦ ش - ٩ يناير سنة ١٦١٠ م) بخط القمص طعمه كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويله ومحفوظة بمكتبة هذه الكنيسة الآن يأتى : « كملت بشارة القديس مرقـــس الرسول البطريرك التلميذ الشهيد البكر الأنجيلى ، وكان كتبها بالرومى والأفرنجى بمدينة رومية بعد صعود سيدنا يسوع المسيح باثنى عشر سنة فى السنة الرابعة لأقلوديوس قيصر ملك رومية » - ولقد دل ذكر اللغتين الرومية أى اليونانية والأفرنجية أى اللاتينية فى كتاب البشائر المذكور دلالة واضحة على أن هناك نسختين كتبهما الرسول بهاتين اللغتين حول سنة ٤٥ م ، مع أن القديس متى الرسول كتب أنجيله فى سنة ٦٠ على حسب ما جاء فى قاموس لاروس القرن العشرين ، فيكون بذلك أنجيل مرقس هو أول أنجيل كتب قبل كتابة البشائر الثلاثة الأخرى ، وإن أنجيل متى لم يكن هو الأنجيل الأول على ما جرى به العرف فى الكنيسة .

ويتضح مما تقدم أن القديس مرقس كتب فى سنة ٤٥ م أنجيله بإحدى اللغتين اليونانية أو اللاتينية أو بهما اولاً قبل أن يجىء إلى الديار المصرية ثم ترجمه إلى لغة البلاد المصرية لما استقر فيها سواء كان بنفسه أو بواسطة العارفين بها من خلفائه ، أو بواسطة حنانيا أول البطاركة الذين خلفوه أو أولاده أو الفلاسفة الذين انضموا إلى الكنيسة فى عهده .

وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية : « إن بشارة مرقس هى أقدم الأناجيل عهداً رغم أنه يأتى ثانيها من حيث الترتيب الكنسى ، فهى تعتبر أولى البشائر وأنها كانت المصدر الذى استقى منه متى ولوقا فى كتابة بشارتيهما كما اقتبس منه الكاتب الرومانى هرماس حوالى عام ١٤٠ م .

وقد عثر على لوحة لبابياس (Papias) اقتبسها اوسابيوس وترجمتها كالآتى :

« وهكذا أيضاً اعتاد القسيس أو « الشيخ » أن يقول : حقاً إن مرقس الذى أصبح فيما بعد مترجماً لبطرس كتب بدقة على قدر ما أسعفته به ذاكرته عن الأشياء التى قالها أو فعلها السيد المسيح ولكنها مدونة بغير نظام ، لأنه لم يسمع المسيح قط ولم يكن من أتباعه المقربين الذين اعتادوا التوفيق بين تعاليمه وبين مقتضيات الزمن . كتبها ليس كمن يروى قصة متحدة عن تعليم السيد المسيح وأقواله ولم يرتكب خطأ ما فى تدوين هذه المواضيع المعينة كما تذكرها تماما ، لأن غايته الوحيدة هى ألا يترك شيئاً مما سمعه دون تدوينه ، وألا يدس أشياء غير صحيحة بينها » .

أما قصة صيرورة مرقس مترجماً لبطرس فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية : « إنها ليست بذى قيمة كبيرة وليس من المحتمل أن يكون القسيس المجهول الأسم الوارد ذكره فى لوحة بابياس قد حصل على معلومات عن هذا الموضوع أكثر من حاجة بطرس الرسول إلى مترجم بمعناها الصحيح . ولما كانت الجليل بلدة ذات لهجتين أو لغتين فمن المحتمل أن اتباع المسيح الأولين كانوا يتكلمون قليلاً من اللغة الأغريقية العامية وأن مرقس كان يتقن اليونانية والأفرنجية والعبرانية » لأن والدة مرقس كانت موسرة وعلمت هذه اللغات لأبنها كما رواه الأنبا بطرس الجميل اسقف مليج وكاتب السنكسار كما سبق ذكره .

أما ما قاله هذا الشيخ من أن القديس مرقس البشير لم يسمع المسيح ولم يكن من اتباعه المقربين فهذا أمر منقوض بما سبق اثباته فى هذه الرسالة فيما تقدم بيانه تفصيلياً ، وكذا تكذبه أيضاً تقاليد الكنائس الرسولية ونصوص سنكساراتها على اختلاف مذاهبها لأن جميعها تسلم بأنه عاصر المسيح ، وسمع تعاليمه ، ورأى معجزاته ، وحضر آلامه ، ونظر قيامته ، وإن منزله كان بيت المسيحيين فى عهد المسيح نفسه وبعد صعوده وتدعوه الكنيسة فى المجمع الوارد فى الخولاجي المقدس : ناظر الاله الأنجيلى مرقس الرسول الطاهر والشهيد . فكيف يمكن التوفيق بين هذه الحقائق الملموسة وبين ما جاء فى لوحة بابياس التى تشك دائرة المعارف البريطـانية ذاتها فى صحة المعلومات الواردة فيها .

وقد جمع بشيرنا العظيم القديس مرقس حوادث المسيح وتعاليمه فى أنجيله ، وكتبه باليونانية واللاتينية وترجم إلى القبطية فى عهده ووجه به إلى الأمم الذين تخلوا عن عبادتهم الوثنية واهتدوا إلى الإيمان بالمسيح ولم يقصد كتابته لليهود بدليل قيامه بتفسير كل شيء ذكره فيه خالصا باليهود مثل : معنى الأستعداد وعادة التطهير وجدوبة شهر ابريل الذى لعن السيد فيه شجرة التين وعقائد احزاب الفلسطينيين واخلاقهم وكذا قيامه بترجمة العبارات الأرامية التى تلفظ بها المسيح وهى : « بنوبرجس وطابيثا قومى (أى ياصبية قومى) وكوربان وإفثا (أى انفتح) وبرطيما وابا وألوى ألوى لما شبقتنى التى كانت كلها معروفة لبنى اسرائيل . فلو كان قصده كتابة أنجيله للاسرائيليين لما كان هناك داع إلى هذه الشروح والترجمات ، وبناء على ذلك يكون القديس مرقس كتب أنجيله لنفع المؤمنين من الأمم الذين بشرهم وآمنوا على يديه ولذا قد تجنب بقدر الأستطاعة الأقتباس من اسفار العهد القديم لعدم خبرة الأمم بها كما تجنب أيضاً ذكر سلسلة المسيح لهذا السبب أيضاً .

ويمتاز أنجيل مرقس ببساطة موضوعه ، أما الحوادث التي ذكرها فهي أقل من التي يذكرها متى ولوقا ، إلا أنه كان يدقق فيها أكثر منهما كما جاء في خبر احدى المرات التي عبر فيها المسيح بحر الجليل (ص ٤) وكذا ما جاء في شفاء المفلوح (ص ٢) وخبر الأعجوبة التي فعلها السيد المسيح في كورة الجدريين (ص ٥) مما دل على مشاهدته شخصياً لهذه الحوادث واتصاله بالسيد المسيح على وجه الأرض ، كما يثبت قيامه بكتابة أنجيله بنفسه دون املاء الغير عليه كما يدعي البعض .

وقد ذكر هذا البشير اعجوبتين لم يذكرهما غيره من الأنجيليين وهما شفاء الأصم الأعقد (٧ : ٣٢) وفتح عيني الأعمى الذي كان في بيت صيدا (٨ : ٢٢ - ٢٤) وكذلك ذكره المثل الخاص بكيفية نمو البذار الذي يشير إلى نمو الإنجيل في العالم (٤ : ٢٦ - ٢٩) .

وقد فتح القديس مرقس أنجيله بالبشارة بأن المخلص هو ابن الله وختمه بهذه الآية : « من آمن واعتمد خلص ومن يؤمن يدن » (١٦ : ١٦) فالمبادىء السامية التي حواها أنجيله المقدس تدل دلالة واضحة على عظم قيمته الدينية مما يجعله الأساس المتين الذي شيد عليه عماد العقيدة الأنجيلية المسيحية .

وخلاصة ما تقدم أن القديس مرقس كتب أنجيله باللاتينية لأهل رومية حول سنة ٤٥ م على ما رواه أوسابيوس وابن كبر ، بناء على طلب مؤمني رومية واكويلا، وكتب أنجيله باليونانية في مصر بعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس على ما رواه يوحنا ذهبي الفم وايريناوس ، وأن كتابته لم تكن بأملاء بطرس كما تدعيه الكنيسة الكاثوليكية ، وأنه كتبه للأمم وليس للاسرائيليين ، وأن الحوادث التي انفرد بذكرها والتي دقق في تفصيلاتها دون غيره من الأنجيليين فيها الدليل الكافي الذي يثبت أنه كان شاهد عيان ، وأن أنجيله هو أول ما كتب من البشائر الأربعة .

٤ - المدرسة اللاهوتية المسيحية :

لما كانت مدرسة الإسكندرية الوثنية المعروفة بالرواق الإسكندرى التى أنشأها بطليموس سوتير أول ملوك البطالسة في مصر قائمة فى عصر مرقس الرسول بنشر الحضارة اليونانية رأى هذا القديس العظيم بثاقب فكره وراجح عقله ضرورة وجود مدرسة نظيرها تقوم بنشر المبادىء المسيحية والتعـــاليم الأنجيلية وفلســـفتها فقام بتأسيس المدرسة اللاهوتية فى أوائل سني كرازته .

وكانت مهمة هذه المدرسة فى أول نشأتها قاصرة على درس الكتاب وتعليم الديانة المسيحية على طريقة السؤال والجواب ، ولكن بعد ذلك اتسع نطاقها وصارت تشتغل بالعلوم والآداب والفلسفة حتى طغت على زميلتها الوثنية وبلغت منزلة عالية من الرقى وبعد الصيت ، وأقام الرسول مرقس العلامة يسطس رئيساً لهذه المدرسة اللاهوتية ، وكان منصب الرئيس يلى المنصب البطريركى فى الرتبة والكرامة .

٥ - قوانين الدسقولية :

وأخيراً أضاف القديس مرقس إلى ما وضعه من الأنظمة لحفظ كيان الكنيسة التى قام بغرسها ووضع لها الأسس المتينة أنه قام بتسليم البيعة أيضاً الكتاب الذى عرف عند القبط بالدسقولية أى التعاليم ، وهى التى أجمعت الكنائس الرسولية على أن الأثنى عشر رسولا وبولس المنتخب لهداية الأمم

ويعقوب أسقف أورشليم وضعوا الأحكام التى شملها هذا الكتاب وعدتها تسعة وثلاثون بابا فى أورشليم ، وهو عبارة عن القانون المعروف عند الروم بإســـم قانون الرســـل ، وعنـــد الســـريان بالعهـــد الســـيدى .

وكل أحكام هذا الكتاب مبنية على أقوال الكتاب المقدس ، ومستشهد فى أكثرها من كتب العهد القديم والجديد . ولذا تعتقد الكنائس الرسولية فى هذه الأحكام أنها واجبة التنفيذ والتمسك بها .

الفصل الثانى عشر

عودة مرقس إلى الخمس
مدن الغربية

وبعد أن أكمل كل شيء فى الإسكندرية إذ أسس الكرسى الإسكندرى وعين المجمع المقدس وأنشأ كنيسة للصلاة فى بوكليا غير بيعة بيت انيانوس ووضع صلاة القداس ونشر الأنجيل وترجمه إلى لغة البلاد وأنشأ المدرسة اللاهوتية المسيحية وسلمهم تعاليم الرسل وأحكامهم وسائر الأنظمة والتقاليد الخاصة بحفظ كيان الكرسى الرسولى الذى أسسه ، وبعد أن رأى عين الغدر من وثنيى الإسكندرية لم يشأ أن يهمل أمر وطنه الأصلى ويتركه بدون افتقاد فغادر مرقس الإسكندرية حول سنة ٦٥ ميلادية وقصد الخمس المدن الغربية مسقط رأسه ولبث مدة سنتين طائفاً مدنها ، مثبتاً شعبها فى الإيمان ، عاملاً على توطيد أركان البيعة المقدسة التى أسسها فيها قبل تبشير الإسكندرية ، فأقام الأساقفة والقسوس والشمامسة مرتباً أمورهم الدينية ، رابطاً صلتهم بأمهم الكنيسة الرسولية التى أقامها فى اسكندرية ، مؤسساً فيها عدة كنائس ، من بينها كنيستى القيروان وليبيا ، ثم بعد أن رتب كل شيء فى هذه المدن قفل راجعاً إلى الإسكندرية حوالى سنة ٦٧ م بعد أن نكس علم الوثنية ورفع لواء المسيحية ، وودع شعبه وداعاً مؤثراً وقصد العودة إلى الإسكندرية (ابن المقفع) .

الفصل الثالث عشر

عودة مرقس إلى الإسكندرية

١ – احوال البيعة عند عودته

عاد القديس البشير إلى مركز كرازته ومقر الكرسي الذى أسسه فى الإسكندرية فوجد أنها أصبحت أورشليم الثانية إذ ازدهرت فيها الديانة المسيحية وازدهرت الرسالة الرسولية وانتعشت كلمة الخلاص فيها انتعاشاً مدهشاً حتى أوجس الوثنيون شراً على دينهم من انتشار المسيحية بهذه السرعة . وكذلك خشى الحكام الرومان أن يكون الدين المسيحى مزعزعاً لأركان حكمهم ومقوضاً لأساس سلطانهم ، فاضطربت قلوبهم قلقاً وامتلأت نفوسهم حقداً على المسيحيين واضمروا لمرقس البشير شراً وغدروا وانتظروا عودته من الغرب (ابن المقفع) .

ولما علم الوثنيون بعودة الرسول إلى الإسكندرية ونظروا إلى ما كان يتم على ايدى المؤمنين من عجائب إبراء المرضى وإخراج الأرواح النجسة إزدادوا حقداً على المسيحية التى اقتلعت اركان وثنيتهم من جدرانها ، ودبروا مكيدتهم للقبض عليه .

٢ – احتفال مرقس بعيد الفصح

وفى يوم ٢٩ برموده سنة ٦٨ م غ الموافق ٢٦ إبريل سنة ٦٨ م احتفل مرقس البشير مع أولاده المسيحيين بعيد الفصح فى كنيسة الإسكندرية ، وتصادف أن يقع فى هذا اليوم نفسه عيد سيرابيس عند الوثنيين فأقاموا أيضاً احتفالاتهم بالعيد فى معبد سيرابيس العظيم وسائر المعابد الوثنية ولكنه كان عيداً فاتراً عليهم (ابن المقفع ١٣ – ١٧ VR) .

٣ – القبض على مرقس وتعذيبه

وبينما كان القديس مرقس يصلى فى الكنيسة احتفالاً بالفصح المجيد وثب الوثنيون من شدة غضبهم على الرسول الوديع اثناء وجوده في الهيكل وقبضوا عليه ووضعوا حبلاً فى عنقه واخذوا يجرونه فى الطرق وفى ساحات المدينة صائحين قائلين جملتهم المشهورة : « جروا التيتل فى أرض البقر » واستمروا فى تمثيلهم به على هذه الصورة حتى تمزق لحمه ونزف دمه على الأرض . وكان القديس أثناء ذلك يسبح الله ويقول : « الشكر لك يارب إذ جعلتنى مستحقاً أن اتألم على اسمك القدوس » وكان لحمه يتقطع ويلتصق بحجارة الشوارع (ابن المقفع ١٣ تاريخ ص ١٧ R) .

٤ – رؤيا مرقس فى الأعتقال

فلما كان المساء مضوا به إلى الأعتقال حتى يتشاوروا بينهم بأية طريقة يهلكونه . ولما انتصف الليل ، وأبواب السجن مغلقة والحراس نيام على الأبواب وإذا بزلزلة عظيمة تحدث وإضطراب شديد يقع ونزل اليه ملاك الرب من السماء ودخل على القديس وقال له : « يامرقس عبد الله هوذا قد كتب إسمك فى

سفر الحياة وعددت فى جماعة القد يسين ، وروحك تسبح فى السموات وجسدك لا يهلك ولا يزول من على الأرض » . فلما استيقظ من نومه ورفع عينيه إلى السماء قال : « أشكرك ياربى يسوع المسيح واسألك أن تقبلنى اليك لأتنعم بصلاحك . » فلما تم هذا القول نام أيضاً فظهر له السيد المسيح بالشكل الذى تعرفه به التلاميذ وقال له : « السلام لك يامرقس الإنجيلى المصطفى » فقال له القديس : « اشكرك ياسيدى ومخلصى إذ جعلتنى مستحقاً أن اتألم على إسمك القدوس » ودفع له السيد المخلص سلامه وغاب عنه . فلما انتبه وجد نفسه متعزياً وقوياً على احتمال العذاب وقبول الإستشهاد بقلب مطمئن وايمان ثابت (ابن المقفع ١٣ – ١٧ VR) .

الفصل الرابع عشر

نهاية حياة القديس مرقس

١ - استشهاد القديس مرقس

لما إنبلج نور الصباح أجتمع الجمع وأخرجوا القديس من الحبس وجعلوا حول رقبته حبلاً وقالوا « جروا التنين فى دار البقر » وزحفوا بالقديس على الأرض وهو يشكر السيد المسيح ويمجده قائلاً : « أنا أودع روحى بين يديك يا إلهى ومخلصى » . قال القديس هذا وأسلم الروح . (تاريخ البطاركة لابن المقفع ١٣ - ١٧ VR) .

٢ - حريق الجسد ونجاته

لما رأى الجند أن القديس قد قضى عليه ، جمع خدام الأوثان الأنجاس حطباً كثيراً فى الموضع الذى يسمى الإنجليون ليحرقوا جسده هناك ووضعوا الجسد عليه واشعلوا ناراً قوية فيه ، ولكن إرادة الله التى تفوق كل إرادة افسدت التدبير البشرى لأن الله لا يترك قديسيه عرضه للامتهان بل يحوطهم بما يستحقونه من الكرامة ويشملهم بعنايته فى كل حين حتى بعد انتقالهم من هذا العالم لكى يتجمد اسمه فى كل حين . فلقد حصل عقب إشعال النار تحت جسد القديس مرقس أن حل ، بأمر الله تعالى القادر على كل شىء ، ضباب كثيف وقامت ريح شديدة فى منطقة الحريق حتى أرتعدت الأرض وهطلت الأمطار الغزيرة ومات قوم كثير من شدة الخوف الذى حل بهم والرعب الذى استحوذ عليهم بسبب هذا الحادث العجيب ، فصاروا يقولون إن

زوس (ذفس) الصنم معبود الوثنيين افتقد الإنسان الذى قتل فى هذا اليوم .
(ابن المقفع ١٧ VR وكتاب ٢ تاريخ ص ١٦٦ V و ٣ ص ١٦٣ V) .

٣ – تجنيز ودفن جسد القديس مرقس

فاجتمع قوم من المؤمنين بالمسيح وحضروا إلى مكان المحرقة فى الأنجليون وانتشلوا جسد القديس من وسط الرماد ولم يتغير فيه شيء حيث لم يتأثر من النار لأن الرب حفظه ، وحملوه إلى البيعة التى يؤدون فيها شعائرهم وكانوا يقدسون فيها فى شرق المدينة وكفنوه كعادة أهل المدينة وصلوا عليه ودعوا له وشكروا الله وحفروا له مكاناً ودفنوه الجسد فيه ليتمموا تذكاره فى كل وقت بفرح وابتهال وبركة وصاروا يذكرون اسمه فى الصلاة والتمجيد والتقديس مثل كنز عظيم وجدوه لأجل النعمة التى دفعها لهم السيد المسيح على يديه فى مدينة الإسكندرية ، وجعلوه فى الشرق فى البيعة ، وهى المغارة التى كان يصلى فيها ببوكليه أثناء حياته .

وتم ذلك فى اليوم الذى تمت فيه شهادته

٤ – تاريخ نياحة القديس مرقس

كان انتقال القديس مرقس الأنجيلى الطاهر أول الشهداء الذين سفكت دماؤهم فى أرض مصر بإسم سيدنا المسيح بالإسكندرية المدينة العظمى آخر شهر برموده تمام ثلاثين سنة من سنى الروم ، ومن شهر العبرانيين سبعة وعشرين يوماً من نيسان من ملك طيباريوس تمم شهادته وأكمل جهاده الحسن وهو فى العلاء مع الأبرار يسبح الآب والأبن والروح القدس (كتاب تاريخ الرسل رقم ٢ تاريخ ص ١٦٦ V وكتاب ٣ ص ١٦٣ V وكتاب ٦ تاريخ ص ١٩٧ V و١٩٨ R) .

وقال ابن المقفع فى تاريخ البطاركة إن مرقس أول من أستشهد من الجليليين على اسم السيد المسيح بالإسكندرية فى آخر يوم من برموده للمصريين فى السنة الخامسة والثلاثين من صعود الرب وهو أربعة وعشرين يوماً من نيسان من شهور العبرانيين ، وتعيد الكنيسة تذكار استشهاده فى اليوم الثلاثين من شهر برموده من كل سنة (كتاب ١٣ تاريخ ص١٧ V و١٨ R) .

وقال ابن الراهب فى تاريخه : « مرقس الرسول الإنجيلى أقام منذ بشر فى الأسكندرية إلى يوم شهادته بها فى صبيحة يوم الأحد عيد القيامة وهو يوم الأثنين الرابع والعشرين من هلال نيسان والسابع من قلنطر مايوس (Kalen-darum - Maii) للروم سنة ثمانية وستين للتجسد وقيل الثلاثين ، وذلك سبع سنين التى قضاها على الكرسى (ص٢٠٨ V) .

وقال ابن كبر أبو البركات : « وكانت شهادته فى آخر برمودة فى السابع والعشرين من نيسان فى مملكة طباريوس (وصحته طيبريوس قلوديوس نيرون الذى توفى فى ٩ يونية سنة ٦٨ م) (ص ٤١ R) وإن مدة سنيه منذ ميلاده إلى حين شهادته ٨٩ سنة وخمسة شهور (ص ٣٦٢ R) . وقد أثبتنا فيما سبق بيانه أن تقدير سنه هذا غير حقيقى .

وقال سعيد بن يطريق في تاريخه « إن مرقس صاحب الأنجيل بالإسكندرية وبرقه كان يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح سبع سنين وفى أول سنة من حكم نيرون قتل مرقس بالإسكندرية وأحرق جسده »

أما قوله بأن مرقس قتل فى أول سنة من حكم نيرون فهو خطأ فاضح لأن بطرس وبولس استشهدا على يد نيرون فى سنة ٦٥ وأن مرقس استشهد فى سنة ٦٨ ميلادية ، وإن اوسابيوس يقول فى تاريخه إن انيانوس الأسقف الأول استلم ولاية الكنيسة فى السنة الثامنة لنيرون .

الفصل الخامس عشر

مسائل عامة خاصة بالكرسي الأسكندري

١ - ولاية انيانوس على الكنيسة في حياة مرقس وخلافته من بعـــده :

قال ساويرس بن المقفع في تاريخ البطاركة إنه لما انتقل الأنجيلي مرقس رسول السيد يسوع المسيح من هذا العالم جلس بعده انيانوس بطريركاً على الكرازة المرقسية وخليفة له على الكرسي الرسولي .

وقال كيرلس مقار بطريرك الأقباط الكاثوليك في كتاب الوضع الألهي « إنه بعد استشهاد القديس مرقس قـام بإتمام خدمته الرسولية القديس لوقا الأنجيلي ، وقد نسبت النظـامات الرسولية إلى لوقا الرسول أمر تكريس ابيليوس (البطريرك ميليوس الإسكندري) فوراً لأنيانوس (في أول سبتمبر سنة ٨٣ م) وقد نسب إليه أيضاً ميتافراست ونيكيفور هداية صعيد مصر (ص ١٦٢) .

وزعم القديس ايرونيموس في سيرة القديس مرقس أن رسول مصر مات في السنة الثامنة لنيرون ، وقد استخلص هذا الخطأ من فقرة وردت في التاريخ الكنسي لوسابيوس حيث قال : « إنه في السنة الثامنة لنيرون استلم أنيانوس ولاية كنيسة الإسكندرية بعد القديس مرقس » فذهب القديس ايرونيموس من ذلك أن القديس مرقس لم يترك ولاية كنيسة الإسكندرية إلا بموته وهذا وهم باطل . فإن القديس مرقس ترك ولاية كنيسة الإسكندرية لإنيانوس بعد أن جعله أول أسقف لهذه الكنيسة ليتمكن البشير من أن يستأنف أعماله الرسولية

بموافقة القديسين بطرس وبولس فى رومه . ومما يلزم التنبيه اليه أن هذا التاريخ الذى سلم به ولاية كنيسة الأسكندرية لانيانوس يوافق نفس سنة سفر القديس بولس لأول مرة إلى روميه ، لأن رسول الأمم كتب رسالته لأهل كولوسى فى السنة الأولى من أسره ، الذى كان فى السنة الثامنة لنيرون قائلاً : يسلم عليكم ارسترخس المأسور معى ومرقس ابن عم برنابا الذى اخذتم لأجله وصايا إن أتى اليكم فاقبلوه ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان . هؤلاء هم وحدهم العاملون معى لملكوت الله الذين صاروا لى تسليه (كو ٤ : ١٠) ورسالته إلى فليمون التى كتبها من رومه السنة التالية وهى العاشرة لنيرون يسمى القديس بولس مرقس فى الترتيب الأول من العاملين معه فى الخدمة الرسولية أثناء أسره حيث قال . « يسلم عليكم أبفراس المأسور معى فى المسيح يســوع ومرقس وارسترخــس وديمــاس ولوقـــا العاملون معى » (فل ١ : ٢٤) . كل ذلك يساعد على أن القديس مرقس أتم خدمته الرسولية خارجاً عن مصر لغاية موت الرسولين بطرس وبولس وأنه كان منتظماً معهم فى العمل الرسولى لغاية يوم استشهادهم (الوضع الألهى ص ١٦٠ و ١٦١) .

وهكذا قال القديس بولس فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس كما تقدم ذكره عند الكلام على اشتراك مرقس مع الرسل فى الكرازة والتى كتبها من رومية حين أســره الثانى فى الســـنة الثالثة عشــرة لنيرون وقبل موته بسنة قائلاً : « لوقا وحده معى . خذ مرقـــس وأحضره معـــك لأنه نافـــع لى للخـــدمة » (٢ تى ٤ : ١١) .

ومن جهة القديس بطرس فإنه كتب فى رسالته الأولى وهو فى رومه أيضاً وفى ذات التاريخ حيث كان الأضطهاد آخذاً حده ضد المسيحيين (١ بط ٢ : ٢٠ و ٢١ ، ٤ : ١٢ - ١٩) وقد كتبها إلى كنائس البنطس وغلاطية وكبادوكيا

وآسيا وبثينيا قائلاً . « الكنيسة التى فى بابل المختارة معكم تسلم عليكم وابنى مرقس أيضاً (١ بط ٥ : ١٣) .

ومما تقدم بيانه يتضح جلياً أن أنيانوس أقام أسقفاً فى الإسكندرية مدة تزيد عن الأربع سنوات تقريباً أثناء حياة مرقس الرسول ، وأنه كان قائماً فى أثناء غياب مرقس عن مقر كرسيه بولاية الكنيسة فى المدة منذ رسامته أسقفاً بيد مرقس فى سنة ٦٢ ميلادية إلى تاريخ نياحة البشير فى سنة ٦٨ ، وتكون مدة خلافة أنيانوس على الكرسى بعد انتقال مرقس من هذا العالم هى ١٨ سنة ، ومن الخطأ البين أن تحسب لأنيانوس كل مدة أسقفيته فى حساب مدة خلافته الرسولية .

٢ – ادعاءات رومية عن رئاسة بطرس للكنيسة الجامعة وتأسيسه الكرسى الأسكندرى .

قامت كنيسة رومية من بعد مجمع خلقيدونية إلى وقتنا هذا تذيع فى أنحاء المسكونة وفى الشرق على الأخص أن بطرس أنفذ الرسل والمبشرين حاملين الأنجيل إلى أكثر ممالك أوربا وأسيا ، وأنه أرسل القديس مرقس الأنجيلى ليؤسس الكرسى الإسكندرى ، وأنه زار أفريقيا بنفسه وبشرها . وبالأختصار فإنها تنسب زوراً إلى الرسول بطرس أنه أسس كنائس انطاكية وأفسس وبيزنطية وروما والإسكندرية كأن جميع الكنائس الرسولية استمدت خلافتها وسلطانها من القديس بطرس دون غيره من الرسل .

وقد زادت على ذلك أن بطرس جاء إلى ليبيا ومصر والإسكندرية ، وأنه بعد أن ثبت مرقس فى كرسيه ذهب إلى طيبه المدينة العظيمة المشهورة بأبوابها المائة ، وأنه أقام القديس بروفس أسقفاً لها ثم توغل فى بلاد الحبشة .

واخترعت رومية هذه الإدعاءات التى لا أساس لها من الصحة لكى تنزع الكنائس الرسولية وتبسط سلطانها عليها وتدعى لأسقفها الرئاسة العامة على الكنيسة الجامعة الرسولية والولاية العامة على جميع المسيحيين .

وإنه لمن المدهش أن نرى فى الوقت ذاته أن الكنائس الرسولية الأربعة الأخرى وهى الإسكندرية وانطاكية وأورشليم والقسطنطينية تخالف كنيسة رومية فى العقائد والطقوس ولا تعترف لها بأى فضل أو سلطان روحى أو مادى عليها ولا تعتبر أسقفها إلا كبقية أساقفة الكراسى بلا تمييز ولا امتياز .

ولقد توضح فى الباب الخاص باشتراك القديس مرقس مع الرسل فى الكرازة أن مرقس بشر أولاً فى أسدود ثم بعد ذلك فى آسيا مع الرسل وعلى الأخص مع بولس وبرنابا ، وأنه بعد أن انفصل من بولس بشر فى قبرص مع برنابا كما هو وارد فى رسائل بولس رسول الأمم (فليمون ٢٤ و ٢ تى ٤ : ١١ وأع ١٢ : ١٥ و ١٥ : ٣٧ - ٣٩) . وقد رافق مرقس بطرس فى كرازته بأرض فلسطين أولاً ، ثم رافق بولس بعد ذلك ، ثم انضم إلى بطرس فى رومية وتركه هناك وحضر إلى مسقط رأسه فى بنتابوليس وكان حضوره بناء على حكم القرعة لأن سهم قرعته كان بالأسكندرية ومصر ولوبيا وطوبيقى وغيرها على ما رواه ابن كبر (فوليو ٤١ A) . وبعد أن بشر بالأسكندرية عاد إلى رومية وعاون فيها بطرس وبولس وبعد شهادتهما عاد إلى كرسيه حيث استشهد فى الأسكندرية بعدُ اتمام كرازته . ولقد ثبت من أقوال الرسولين بطرس وبولس مؤسسى كرسى رومية أن القديس مرقس كان من رجال الكرازة العاملين معهما فى روميه والمساعدين لهما ، وأن كاروز الديار المصرية اشترك فى تأسيس كرسى رومية ونشر كلمة الخلاص فى إيطاليا ، وأنه أدى بذلك لهذا الكرسى مع

الرسولين خدمات جليلة ، الأمر الذى يشيد بفضل مرقس على كرسى رومية .
ويدل دلالة صريحة على أن كنيسة رومية هى المديونة لكنيسة الأسكندرية بما بذله لها مرقس صاحب كرسى الأسكندرية من مجهود ونشاط ، لأنه كما ذكرته رسائل بولس وبطرس كان العضد الأعظم والعون الأكبر للقديس بولس حين خدمته الأولى الرسولية فى عاصمة الأمم ، كما كان الساعد القوى الذى لا يعرف معنى الكلل للقديسين بطرس وبولس مجتمعين معاً فى توالى خدماته الرسولية الرومانية التى سبقت موتهما ، كما كان لمرقس أيضاً الفضل الأسمى فى كتابة أنجيله باللاتينية لأهل رومية وا كويلا . أما القديس بطرس فإنه بالعكس لم يؤد أية خدمة تبشيرية وغيرهـــا لكرسى الأسكندرية ، كما أنه لم يمـــارس مطلقاً الخدمة الأسقفية فى الأسكندرية . فالكـــرسى الأسكندرى غير مديون لخدمته ولا لترتيبه الأسقفى لأن ذلك خـاص بمرقس ، وأنها مديونة فى ذلك إلى كـــاروزها وشهيدها ومؤسس كنيستهـــا القديس مرقس البشير باكورة شهدائها . وهكذا اثبت ذلك أيضـــاً بالدليل المقنع والصراحة المتناهية البطريرك كيرلس مقار القبطى الكاثوليكى فى كتابه الوضع الألهى فى صفحتى ١٦٢ و ١٦٥ .

وقد سبق أن توضح جلياً فيما سلف ذكره ان رسالة التبشير التى قام بها القديس مرقس الأنجيلى لم تكن بناء على أمر بطرس بل كانت بطريق القرعة التى عملها الرسل بإلهام الروح القدس كما ذكره ابن المقفع أسقف الأشمونين فى تاريخ البطاركة الذى استقى مصادره من المؤرخين الكنسيين الصادقين أمثال يسطس الشهيد ، ويوسيفوس من رجال الجيل الثانى للميلاد ، وأوسابيوس القيصرى من رجال الجيل الثالث . وعلاوة على ذلك فقد جاء فى

كتاب تـاريخ الرسل وكتبة البشـــائر المحفوظة بالدار البطريركية : « وكان فى هذا الزمـــان الذى قسم فيه التــلاميذ المدن ، والتزم القديس مرقس أن يسير إلى بلاد مصر وجلس فيها الأنجيــلى بمشيئة الله واتفاق البيع المقدسة » وجاء فيه أيضاً : « ولما سار مرقس من عند التلاميذ أتى إلى برقه لأن جنسه كان منها » (كتاب ١ تاريخ ص ١٢٩ V وكتاب ٢ ص ١٦٢ V) .

ولقد ثبت مما تقدم ثبوتاً واضحاً أن مرقس أرسل إلى المدن الخمس الغربية والديار المصرية بالهام الروح القدس ووحى من الله تعالى واختيار السيد المسيح له للقيام بهذه المهمة وليس بأمر أحد من الرسل سواء كان الرسول سمعان بطرس او غيره من الرسل . هذا ولم تطأ قدم بطرس الرسول أرض مصر ولا افريقيا . أما ما جاء عن لسان هذا الرســول فى رســالته الأولى حيث قال . « تسـلم عليكم البيعة التى فى بابـــل المختـــارة معكم ومرقـــس ابنى » (١ بط ٥ : ١٣) فقد فسره ابن كاتب قيصر كما تقدم بقوله :

« وأما ذكره أهل بابل فيعنى بهم أهل رومية لأنها قد تبلبلت بما حدث فيها من تعدد الألسن كما حدث ببابل – فوليو ٢٩٣ B » . وهكذا قالت دائرة المعارف البريطانية ان المكان الذى حرر فيه بطرس رسالته الأولى هو روما ودعاها بابيلون .

وذكر ابن المقفع فى تاريخه أن مرقس مضى مع بطرس إلى رومية وبشرا بكلام الله قبل مجيئه إلى مصر . وذكر الأنبا يوساب أسقف فوه فى تاريخه أن بطرس ومرقس مضيا إلى أعمال رومية وبشرا هناك ثم فارقه مرقس وحضر إلى إفريقيا .

وقال الأنبا بطرس أسقف مليج وكاتب السنكسار إن مرقس بعد نياحة برنابا ذهب إلى بطرس بروميـة . ولم يقل أحد من مؤرخى الكنيسة والقبط خاصة إن بطرس حضر إلى مصر مع مرقس أو أثناء وجود مرقس ، كما لم يقل أحد من المفسرين القدماء والحديثين إن بطرس كتب رسالته فى مصر حتى كان يسلم بأن بابل هى بابلون مصر وليست رومية وأن بطرس زار الديار المصرية أثناء بشارة مرقس فيها .

أما القول بأن بطرس الرسول حضر إلى ليبيا ومصر والإسكندرية وأنه بعد أن ثبت مرقس فى كرسيه (Sic) ذهب إلى مدينة طيبة ويشر فيها ثم توغل فى الحبشة فهو قول هراء لا أساس له من الصحة ، بعد أن أقر الجميع شرقاً وغرباً أن بطرس لم يحضر إلى القطر المصرى ، كما أن حكاية تثبيت مرقس على الكرسى الإسكندرى قول لا سند له ، لا تاريخى كتابى ولا تقليدى ، فهى إذن دعوى باطلة اتخذتها كنيسة رومية دون غيرها لتبسط سلطانها على الكنيسة الجامعة الرسولية ، ولتثبت بها مع الزمن أمر توليها رئاسة هذه الكنائس . وهذا لم يقل به أحد غير البابويين وأذنابهم ولم تعترف الكنائس جميعاً ولا دوائر المعارف المختلفة ولا كتب التاريخ ولا المؤرخون الكنسيون من رجال الأجيال الأولى ولا غيرهم بل قامت كل كنائس الشرق أى الإسكندرية والأنطاكية والأورشليمية والقسطنطينية بتكذيبها ، وإثبات عدم صحتها بالأدلة والبراهين .

٣ – مدة اقامة مرقس البشير على الكرسى الأسكندرى

١ – اكتفى ابن المقفع فى تاريخه بذكر تاريخ يوم وشهر نياحته أى ٣٠ برموده ، دون أن يذكر مدة كرازته ولا سنة نياحته (كتاب ١٣ تاريخ) .

٢ – ذكر أبوشاكر بن الراهب أن مدة بطركيته سبع سنوات ، وأن تاريخ نياحته ٣٠ برموده سنة ٦٨ للتجسد (كتاب التواريخ) .

٣ – وذكر أنبا يوساب أسقف فوه فى تاريخ البطاركة المنسوب إليه انه أقام سبع سنوات وتنيح فى ٣٠ برموده دون أن يحدد السنة .

٤ – وذكر شمس الرئاسة أبو البركات ابن كبر أن مدة رئاسته ١ يوم ٨ شهر ٧ سنة ، وأن عمره من ميلادى إلى حين شهادته ٨٩ سنة .

٥ – وجاء فى الجدول الملحق بتاريخ البطاركة المنسوب لأبن المقفع رقم ١٥ تاريخ بخط القمص عبد المسيح المسعودى أن مرقس الرسول تقدم للكرازة سنة ٦١ للتجسد و ٣٨٠ للأسكندر وتنيح فى ٣٠ برموده سنة ٦٨ للتجسد و ٣٨٨ للأسكندر ، وأقام على الكرسى سبع سنوات وثمانية أشهر ويوماً واحداً .

٦ – وجاء فى الجدول الوارد فى كتاب الأبقطى المنسوب لاولاد العسال أن مدة رئاسته من سنة ٣٨٠ للأسكندر إلى سنة ٣٨٨ وأنه أقام على الكرسى سبع سنوات وثمانية أشهر ويوماً واحداً .

هذا ما ورد فى كتب المؤرخين الأقباط المخطوطة القديمة . وقد جاء فى الجداول التى وضعها علماء الأفرنج .

١ – جاء فى كتاب تاريخ البطاركة الذى نشره جوتشميد أن مدة كرازة مرقس الرسول من سنة ٤٠ م إلى سنة ٦٣ وهو تاريخ رسامة انيانوس .

٢ – وجاء فى كتاب تاريخ الأسكندرية القديمة تأليف الكونت اسكندر زغيب أن مدة كرازة الرسول حسب جداول الكنيسة القبطية من سنة ٦١ إلى سنة ٦٧ م ق ، ومن سنة ٤٢ إلى سنة ٦٢ حسب جداول الكنيسة الملكية اليونانية .

٣ – وجاء فى كتاب تواريخ الأزمنة المسيحية بمصر والحبشة تأليف العلامة شين أن مرقس الرسول أقام على الكرسى لغاية ٢٥ مايو سنة ٦٣ م غ ، وهو تاريخ رسامة انيانوس .

٤ – وجاء فى الجزء الأول من تاريخ بطاركة الأسكندرية الذى نشره سيبولد أن مرقس الرسول تولى الكرازة سنة ٦١ م .

٥ – وجاء فى كتاب مروج الأخيار للآباء اليسوعيين أنه تنيح فى اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ٢٨ للمسيح .

ومما تقدم تكون مدة كرازة مرقس الرسول بالأسكندرية تبتدىء من سنة ٦١ م غ وتنتهى فى ٢٥ مايو سنة ٦٨ م غ ، أى ٣٠ برمودة وهذا ما أجمع عليه المؤرخون ، كما أجمعوا أيضاً على أن مدة إقامته على الكرسى الأسكندرى هى سبع سنوات وثمانية أشهر ويوم واحد وأن كرازته العامة بالأنجيل ابتدأت من سنة ٤٠ م غ إلى سنة ٦٨ م غ وأن رسامة انيانوس أسقفاً كانت فى سنة ٦٣ م غ ، وأن ولاية الأسقف انيانوس مدة غياب مرقس عن كرسيه لم تحسب له فى مدة خلافته لمرقس ، بل حسبت له منذ انتقال مرقس من هذا العالم فى ٣٠ برمودة سنة ٦٨ م ، وهذا هو ما يمكن التعويل عليه .

٤ – مقبرة مرقس الأنجيلى والبوقليون والأنجيليون والقيصريون

ذكر ساويرس بن المقفع اسقف الأشمونين فى تاريخ البطاركة فى سيرة القديس مرقس الأنجيلى أسماء أمكنة مشهورة فى الأسكندرية ، تردد ذكرها كثيراً فى السير التى كتبها هذا المؤرخ الشهير وهى البوكليون والقيصريون والأنجيليون .

فالبوكليون وتفسيره « دار البقر » كان مجاوراً للقيصريون . ودعى بدار البقر لأنه كان ينبت فى هذا المكان حشايش ونباتات بحرية وكان الأهالى يرعون بقرهم فيها ، كما كانت هناك صخور تقطع منها الحجارة ، فدعى أيضاً هذا المكان بموضع قطع الحجارة .

وقال اميلينو فى جغرافية مصر فى عهد الأقباط إن البوكليون هو المكان الذى عذب فيه مرقس الرسول الأنجيلى ، وهو كائن فى الجهة البحرية الشرقية للأسكندرية القديمة ، حيث اقيم لهذا القديس البشير فيه معبد (ص ٣١) .

وهذا المعبد هو أول بيعة بنيت فى الأســكندرية فى الموضع المعروف بمرعى البهائم عند الصخرة التى تقطع منها الأحجار بالقرب من البحر فى شرق المدينة كما رواه ابن المقفع فى تاريخ البطاركة والعلامة برشيا فى دليل المتحف الرومانى الأسكندرى ، كما نعتها أبو المكارم بكنيسة القمحا .

وذكر العــلامة بوتى الذى كان مديراً للمتحف الرومـــانى المذكور أن العــلامة نروتسوس بك أحد مديرى المتحف الأسكندرى الســابقين يرى أن كنيسة بوكليه .

هى نفس الكنيسة القبطية الحالية . ويقول العلامة بوتى إن كنيسة تيوناس لم تكن إلا مقبرة القديس مرقس التى قام تيوناس بتوسيعها (كتاب تخطيط مدينة الأسكندرية ص ١٠٠) .

وقال أيضاً نروتسوس بك ان المكان الذى سجنوا فيه القديس مرقس ليلاً بعد أن جروه بالحبل فى يوم ٢٩ برمودة سنة ٦٨ هو نفس السجن الذى ظلت آثاره باقية إلى عهد دخول الفرنسيين بقيادة نابوليون بونابرت مدينة الأسكندرية بجانب كنيسة يوحنا وأليشع النبى القديمة التى حل مكانها الآن جامع النبى دانيال فى اخر الشارع الذى يحمل اسم هذا النبى .

وقد ورد ذكر هذا السجن ومكانه فى سيره القديس بطرس رئيس الأساقفة السابع عشر وخاتم الشهداء بأنه واقع فى المكان القريب من البوكليون أى دار البقر على ما رواه ابن المقفع ، وما ورد فى ميمر هذا الشهيد العظيم .

وقال برشيا فى دليل المتحف الرومانى إن كنيسة الأسكندرية أسسها القديس مرقس ، وأنه وجد فعلاً مقبرة بهذا الأسم بالقرب من الميناء الكبير المعروف بالميناء الشرقية الآن (ص ٤٣ و ٤٥) .

وتحوى الكنيسة المرقسية الكبرى الحالية القائمة فى حى المسلة بمدينة الأسكندرية الآن والتى شيدت فى مكان الكنيسة القديمة التى تحمل إسم القديس مرقس قبور الآباء البطاركة فى موضع خاص قائم بالجهة الغربية القبلية ، وله مدخل موضوع عليه باب من الرخام .

أما القيصريون أو الهبتاستاد فهو المكان الذى أقيم لتخليد ذكرى ابن يوليوس قيصر من كليوبطرا آخر ملوك البطالسة ، وقد قتله أغسطس قيصر . وكان على باب القيصريون مسلتا الأسكندرية المشهورتان اللتان كانتا فى مدخل الميناء الشرقية المعروفة قديماً بالميناء الكبرى ، وحول القيصريون فيما بعد فى أيام البابا الكسندروس إلى كنيسة بإسم رئيس الملائكة ميخائيل ، ومكانه الحالى منطقة محطة الرمل الحالية بين البحر وشارع السلطان حسين وشارع صفية زغلول .

أما الأنجيليون أو الأفانجليون ، ومعناها الملائكة أو البشارة ، ومنها لفظة الأنجيل ، فهو المكان الذى أعدت فيه المحرقة لحرق جسد القديس مرقس بعد أن أسلم الروح فى يد سيده يسوع المسيح ابن الله الحى ، وقال اميلينو عنه فى كتاب جغرافية مصر فى عهد الأقباط إن الأنجيليون كان فى الجهة الغربية من المدينة . وقال العلامة كاترمير (QUATREMERE) إنه فى جهة عامود السوارى ، وأن جسد القديس الذى سلم من الحريق بمعجزة نقل من هذه الجهة إلى دار البقر حيث وضع فى الكنيسة التى شيدت هناك بمعرفة القديس

انيانوس أول الأساقفة ، وبكر مرقس على الشاطىء فى حى التابو كولون أى فى الجهة البحرية الشرقية من البروخيوم (ص ٣٩ و ٤٠ و ٤٢) .

٥ – تاريخ كنيسة مارمرقس من الفتح العربى

كانت كنيسة مارمرقس الحاوية لمقبرته وجسده الطاهر لم تزل قائمة فى مكانها الذى أنشئت فيه فى دار البقر بحى البوكليون إلى الجيـل السابع للميلاد ، ولما فتح العرب بقيادة عمرو بن العاص الديار المصرية وملكوا مدينة الأسكندرية فى سنة ٦٤٤ م (٣٦٠ ش) قاموا على أسوارها فهدموها وأشعلوا النار فى عدة بيع وديارات ، ومن جملتها بيعة مارمرقس الكائنة على شاطىء البحر حيث كان جسده موضوعاً هناك وبقى محفوظاً فى تابوته لم يمسسه أذى من أثر الحريق إلا أنهم انتهكوا حرمته فسرقوا الملابس التى كانت موجودة فى التابوت وتجاسر أحد البحارة على الأستيلاء على رأس القديس والهرب بها فى مركبة إلا أنها أعيدت بأعجوبة عظيمة إلى البابا بنيامين البطريرك (٣٨) فاستقبلها بكل اكرام وتبجيل واحتفظ بها فى دير مطرا الذى أقام فيه قلايته ، وكان هذا البابا مهتماً فى اعادة أعضاء القديس المتفرقة ، لأن بقية الجسد كان موجوداً تحت يد الملكيين لأنهم كانوا استولوا على جميع البيع فى الأسكندرية فى عهد اضطهاد هيرقل عن يد المقوقس قيرش البطريرك الملكى والحاكم المدنى فى مصر . ولم تتحقق رغبة البابا بنيامين إلا على يد من خلفوه البابوات أغاثو البطريرك (٣٩) والبطريرك يوحنا السمنودى البطريرك (٤٠) الذى كملها فى بحر ثلاثة سنوات بكل زينة ومات ودفن بها . ولما مالت حيطان هذه الكنيسة جددها البابا اسحق البطريرك الحادى والأربعون على ما رواه ساويرس ابن المقفع فى كتاب تـــاريخ البطاركة ، ورواه أبو المكارم فى تـــاريخ الكنائس (FOL 91 B) .

وجاء فى السنكسار أن بيعة القديس مرقس التى أحرقها العرب فى سنة ٣٦٠ ش (٦٤٤ م) كانت واقعة على شاطىء البحر وهى تعرف بكنيسة أسفل الأرض (تذكار ٣٠ بابه و ٨ طوبة) وذكر أبو المكارم هذه الكنيسة أيضاً بإسم كنيسة القمحة وكنيسة القمجا وهكذا ذكرها أيضاً فى تاريخ البطاركة . فالقمحة بالحاء يقابلها بالقبطى ومعناها النزهة ، والقمجا بالجيم ويقابلها بالقبطى ومعناها النبات البحرى ، وأطلق عليها هذا الإسم بالحاء والجيم لأن هذه الكنيسة بنيت فى الحى المملوء من هذا النبات ، ولأن الحى نفسه كان مكاناً يقصده الناس للنزهة .

وبقيت هذه الكنيسة قائمة إلى عصر الأيوبيين ، وروى المقريزى أنها هدمت فى سلطة الملك العادل أبو بكر بن أيوب (٢ : ٤٩٢) ثم جددت بعد ذلك فى مكانها الأصلى بشكل متين وكانت منارتها مبنية على شكل الأبراج المنيعة وبقيت قائمة هكذا إلى أن إستولى نابوليون بونابرت وجنوده الفرنسيس على مدينة الأسكندرية فهدموها فى سنة ١٨١٤ لأنها كانت شبه القلعة القوية القائمة على شاطىء البحر ، وخشى الفرنسيون أن يستولى عليها الأنجليز ويتحصنوا فيها ، وبعد خروج الفرنسيس من البلاد واستتباب الراحة ، والأمان قام المعلم صالح أبو عطا الله بتشييد كنيسة صغيرة مؤقتة فى مكانها فى أيام البابا بطرس الجاولى البطريرك (١٠٩) كتاب رقم ١٠١ مخطوط ص ٤٣ V و ٤٤ R وظلت على هذا الحال إلى أيام البابا ديمتريوس البطريرك (١١١) حيث قام

ابراهيم بك نخله ناظر أوقاف المرقسية وصالح نخله ناظر الكنيسة وهما نجلا المعلم نخله ابراهيم كاتب يد السيد شريف باشا الكبير ومن أعيان اقباط الإسكندرية ، واهتما مع الأنبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الكرازة واراخنة الشعب الإسكندرى فى سنة ١٥٨٥ ش (١٨٦٩ م) ببناء الكتدرائية المرقسية الكبرى الحالية بدل الكنيسة الصغرى المؤقتة وتم بناؤها فى سنة ١٨٧٠ ، وهى تعد من أفخر كنائس القطر المصرى وحجابها المرمرى الفخم لا يوجد نظيره فى الكنائس المصرية .

٦ – قنديل كنيسة مارمرقس

لما كانت الكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية تشرف على البحر الأبيض من شاطىء الميناء الشرقية الذى كان يلتصق بها إلى عهد قريب حدث فى وقت ليس ببعيد ان إحدى البواخر الحكومية ضلت طريقها فى ليلة حالكة من ليالى الشتاء وظلت مدة معرضة للهلاك ، واخيراً رأت على بعد ضوءاً ضئيلاً تتبعه حتى اهتدت به إلى الشاطىء وكان هذا الضوء منبعثاً من قنديل مقصورة مارمرقس الكائن فى كنيسته المذكورة فقررت الحكومة المصرية اعانة سنوية قدرها ٣٢٥ قرشاً ، ثمناً لزيت القنديل ، وما زالت بطريركية الإسكندرية تستولى عليه إلى يومنا هذا (مجلة صهيون سنة ٥٢ ص ٣١٠) .

٧ – قسمة الكنائس وجسد القديس مرقس

من المعلوم أنه بعد مجمع خلقيدونية المسكونى إنقسمت بيعة الإسكندرية فى أواخر الجيل الخامس للميلاد إلى شطرين : الأول وهو الأغلبية الساحقة ويشمل المصريين المستقيمين فى الأمانة الذين تمسكوا بقانون ايمان مجمعى نيقية وأفسس ، وتعاليم اثناسيوس الرسول ، وكيرلس عامود الدين الإسكندرى وديسقورس حامى الأمانة الأرثوذكسية ، والشطر الثانى وهو الأقلية التى لم

تتعدى شواطىء وبعض مدن الوجه البحرى وعرفوا بإسم الملكيين لأنهم قبلوا امانة خلقيدونية التى فرضها عليهم الملك مرقيان وزوجته بلخاريا فى مجمعهما الباطل الخلقيدونى ، واتبعوا طومس لاون اسقف رومية الذى انشق بتعاليمه عن الأمانة المستقيمة واستمر الخلاف قائماً بين الأرثوذكسيين والملكيين مدة طويلة من ذاك العهد إلى وقتنا هذا .

وكانت الكنائس والبيع والديارات تتراوح ملكيتها بين الارثوذكسيين والملكيين كلما اشتد ساعد أولئك أو هؤلاء ، ولكن كفة الملكيين كانت راجحة منذ أواخر الجيل الخامس إلى منتصف الجيل السابع ، واستمر زمنا فى أول عهد الفتح العربى وكان الملكيون يحتلون وقت دخول العرب كنيسة مارمرقس ومركز البطريركية فى الإسكندرية ، وقد ذكر ابو المكارم سعد الله فى كتابه عن تاريخ الكنائس قائلاً : إنه لما كان الخلف فى الأمانة والفرق وطلب الملكية الأنفراد قسمت بيع الإسكندرية ، فخص اليعقوبية (ويقصد بذلك المؤمنين الذين تمسكوا بأمانة اثناسيوس وكيرلس وديسقورس بطاركة الأسكندرية العظام - وهى تسمية خاطئة - كما سيأتى بيانه فى فصل خاص) كنيسة القمجا ورأس مرقس البشير ، وخص الملكية جسد القديس ودير أسفل الأرض وجعل الجسد فيه » (فوليو ٩٤ B) .

ثم قال : « وذكر أن دير أسفل الأرض صار إلى الملكية من القبط عند قسمة البيع وجسد مرقس بعد الفرق فصار لليعاقبة رأس مرقس وكنيسة القمجا وللملكية جسد مرقس وهذا الدير (دير أسفل الأرض) وذكر أنه كان دار البقر التى اســتشهد بها الطاهر مرقــس وجرجــر منهــا بحبــل فى رحبــة المدينــة كلهــا » .

وقد كان الجسد كله كاملاً محفوظاً فى كنيسته التى حرقها العرب إلى أن سرق أحد البحارة الرأس فى أيام الفتح العربى وفصلها عن باقى الجسد الذى ظل باقياً فى كنيسة أسفل الأرض تحت يد الملكية دون رأسه التى تسلمها البابا بنيامين البطريرك ٣٨ وظلت فى يد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من ذاك الحين إلى وقتنا هذا .

٨ - تقاليد الأحتفال برسامة البطاركة فى الأسكندرية

كان انتخاب الآباء البطاركة وتتويجهم يتمان فى الأسكندرية لأن البطريرك أسقف المدينة أيضاً ولأنه مركز كرسى الخلافة الرسولية .

وكان يتم التتويج فى ثلاثة أيام متتالية متمثلين فى هذه العادة بقيامة المسيح من الأموات بعد ثلاثة أيام تبتدىء من يوم الجمعة وتنتهى فى يوم الأحد ، يوم قيامة الرب ، فيحتفل فى اليوم الأول وهو الجمعة بكنيسة الأنجيليون أى الملائكة وتعرف أيضاً بإسم كنيسة الأركاديوم ، وهى التى بنيت على انقاض معبد سيرابيس محل عامود بومبيوس المعروف الآن بعامود السوارى ، وكانت هذه الكنيسة مكرسة على اسم القديس يوحنا المعمدان وهو أول من أعلن البشرى الطيبة ولذا جعلت أول الكنائس التى يكرس فيها البطريرك لأعلان بشرى انتخابه واستيلائه على الكرسى . وفى اليوم الثانى وهو السبت تقام الحفلة فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل وكانت معبداً لزحل وكان مكانها فى موضع دار البلدية الحالى ليتسلح من رئيس الملائكة وقائد القوات السمائية بسلاح القوة والغلبة للذود عن كيان بيعـة الله والمحافظة على شعب المؤمنين الموكل اليه رعايته ، وفى اليوم الثالث وهو الأحد الذى قام فيه الرب بعد بقائه فى القبر ثلاثة أيـام كانت تقام الحفلة الثالثة فى كنيسة مارمرقس الأنجيلى فى البوكوليا ، وهو المكان الذى تشغله الآن الكتدرائية المرقسية الكبرى بالمسلة فى

الأسكندرية ، وهنالك يرقى إلى كرسي الخلافة الرسولية فيستمد المعونة ويتزود بالبركة من البشير مرقس مؤســـس الكرازة المرقسية (كتاب رسامة البطاركة طبع روميــه وكتــاب ابن كبر ص ١٤٩ V وكتــاب أصــول الديــن لإبن العســال بــاب ٥٢) .

٩ - رأس مرقس الرسول وتقليد احتضانها

لقد تقدم القول إن الملكيين الخلقدونيين اختصوا بجسد البشير مرقس دون الرأس واحتفظوا به فى دير أسفل الأرض إلا أنهم لم يكونوا أمناء فى المحافظة عليه .

واختص القبط المتأصلون بالرأس دون الجسد منذ أن تسلموها عقب الفتح العربى من يد عمرو بن العاص بواسطة الدوقس سنوتيوس قائدة عمارته البحرية وحافظوا عليها إلى الآن ، وكان الآباء البطاركة يخرجونها فى وقت رسامتهم فى يوم الأحد الذى يحتفل بتنصيبهم على كرسى الخلافة الرسولية فى كنيسة مــارمرقس للتبرك بها والشفــاعة بصاحبها ، لأن هذه العادة كانت تقليداً محترماً نافذ المفعول عند رسامة كل بطريرك لأنه أصبح له خليفة على الكرسي الذى أسسه ، ويقرر استعداده لاقتفــاء أثره فى التعليم ونشر كلمة الخلاص والمحافظة على قطيع الرب الذى تسلم قياده واؤتمن على أرواحه (ابن كبر ص ١٤٩ V) .

وقد كان لحادث تسلم البابا بنيامين رأس القديس مرقس من عمرو بن العاص فى مدينة الأسكندرية أعجوبة عظيمة ، خلدت الكنيسة القبطية ذكراها فأقامت احتفالاً سنوياً لهذا الحادث العجيب فى اليوم الثلاثين من شهر بابه

ودونت القصة مفصلة فى سنكسار ذلك اليوم وفى سيرة البابا بنيامين المدونة فى تاريخ البطاركة لأبن المقفع وأسقف فوه . ووضع البابا بنيامين الرأس المكرمة فى كنيسة المعلقة المشيدة فوق الكنيسة القديمة بالأسكندرية .

وظل رأس مرقس الأنجيلى محفوظاً فى كنيسته حتى الجيل الحادى عشر للميلاد ، فخيف عليها من السرقة فاستلمها أولاً أولاد السكرى بالثغر الأسكندرى وحفظوها فى مكان أمين بدارهم ، فصار بذلك تقليد جديد يقضى بأن يقوم البابا بعد اعتلاء العرش فى اليوم الثالث محاطاً بالأساقفة والشعب جميعه وأمامه الشماسة يرتلون ويسبحون ويمجدون إلى دار أولاد السكرى التى فيها رأس مرقس الأنجيلى المحفوظة فى صندوق ثمين فاخر ، فيدخلون الدار ويقيمون الصلاة فى الموضع الموجود فيه الرأس الطاهر ويرفعون البخور فيأخذ البطريرك الصندوق فى حجره ويفتحونه له ويقبل الرأس ثم يغلقونه ويقبله الشعب جميعه (كتاب أصول الدين باب ٥٢) .

وظل الرأس محفوظاً بدار السكرى كما رواه ابن كبر فى كتاب مصباح الظلمة (ص ٤١ A) إلى أيام البابا زخارياس البطريرك الرابع والستين وخلافة الحاكم بأمر الله الفاطمى حيث ظهر أحد الأمراء الأتراك برأس القديس مرقس فأبتـاعه منه الشماس بقيره الرشيدى حامل الصليب بمبلغ ثلثمائة دينار وأحضره إلى هذا البطريرك الذى كان موجوداً وقتئذ فى دير القديس أبو مقار بوادى هبيب فى وقت غلق الكنائس وهدمها ، وكان فى دار أبى يحيى بن زكرى ، ثم صار فى دار فهد بن بلوطس عندما أخرجه منصور بن مفرج من بيته خوفاً من السلطان وبعد ذلك نكب بسبب آخر (تاريخ الكنائس لأبى المكارم فوليو ٨٥ B وفوه ٨٧ و ٨٨ B) .

وإليك رواية هذا الحادث بالتفصيل ، فقد جاء فى الجزء الثالث من سير البطاركة المؤرخة ٢٨ بشنس سنة ٩٩١ للشهداء المنسوخة بقلاية الدمامرة بدير أبى مقار المحفوظة بالدار البطريركية ما يأتى حسب ما أورده ناقل السيرة يونس بن منصور بن مفرج الأسكندرانى عن أبى العلاء ابن فهد واضع سيرة البابا خرسطوذلوس :

« فى أيام خرسطوذلوس سادس ستى البطاركة فى أيام والى الأسكندرية كوكب الدولة اليشاكى فى أيام اليازورى كان رأس مرقس فى دار يحيى بن زكريا المعروف بابن القلزمى ، فلما مرض واشتد وجعه جاء إليه عشرة من النصارى منهم جبرائيل بن قزمان وسيمون القس الذى صار أسقف تنيس وقال له : أنا أنقله من عندك إلى عندى وأخدمه أنا وأخى ومضوا وأخذوه . وكان بالأسكندرية رجل من مدينة برقه يسمى على بن بشير فكتب للقائد الأجل معضاد الدولة بصفة الحال فوصل الأمر بالقبض على والدى (وهو أبو الفتح بن مفرج) والجماعة الذين كانوا معه . فأحضرهم كوكب الدولة اليشاكى وقال لهم : « أريد رأس مرقس وعشرة آلاف دينار كانت معها ، وهذا كتاب السلطان قد وصل لى بمطالبتكم بذلك . وقدم حسون الشماس وقال : « أتريد أضربك بالسياط حتى تحضر ذلك » فقال : « إنى ما أريد » فضحك منه وخلاه وحمل والدى إلى مصر دون الجمـــاعة وطالبه معضاد الدولة بعشر آلاف دينار وقال له « أريد رأس مرقس » لأن ابن بشـــير المذكور كتب إليه بأن الروم يدفعـــون له فيه عشـــرة آلاف دينار . فقال له والدى « ما رأيتـــه ولا أخذته وهو ذا أنا بين يـــديك » فاعتقله . وعلم والدى والجماعة أن هذا ناله بسبب أنه لم يأخذ الرأس ورده من باب داره فأقام معتقلاً سبعة وثلاثين يوماً وكان سجان الحبس رجلاً مسـلماً أسمه بركات فقال لوالدى صبيحة اليـــوم السابع والثـــلاثين :

« ياشيخ أبا الفتح رأيت الساعة انساناً شاباً بلحية سوداء على جنبه حربه ، وقف على هذا الباب وهو يقول لك . « يا أبا الفتح بن مفرج أنا مرقس الانجيلى فقد ربحت نفسك بصبرك وكلاماً آخر غير هذا ما فهمته . وخذ هذه تتخلص ورمى لك من يده اليمنى عصاة لها ثلاثة رؤوس وقال إلى ثلاثة أيام تتخلص » . فقال له والدى « إئتنى بضوء حتى ابصر ما قلت » فأتاه بالضوء لأنه كان سجناً مظلماً فوجد العصاة مطروحة قدامه فأخذها وتأملها وقبلها وشدها على ذراعه ورأيتها أنا واخوتى بعد أن تخلص وكانت فى منديل كمه إلى حين وفاته فلما توفى لم نجدها . وبعد نظر السجان لهذا المنام بثلاثة أيام أنفذ معضاد الدولة وأحضر والدى وقرر حاله على خمسمائة دينار سوى مائة دينار أخرى لأصحابه لتمام ستمائة دينار وقام بها وأفرج عنه ووصل إلينا إلى الأسكندرية ، والذى أخذ الرأس وقبلها لم يصبه شىء (كتاب ١٢ تاريخ ص ١٦ V إلى ١٨ V بالدار البطريركية) .

وجاء أيضاً فى هذا الجزء من كتاب تاريخ البطاركة : « وكان يظهر لرأس القديس مارى مرقس لما أخذته إلى عندى عجائب كثيرة منها أن أخى أبى العلاء فهد – نيح الله نفسه – كان قد شك فيه وقال فى قلبه ياترى هذا هو رأس القديس مارى مرقس أم لا ! ولم يعلم ذلك إلا الله تعالى . فلما نمت تلك الليلة ظهر لى القديس مارى مرقس وقال لى : « اخوك فهد قد شك فى » . فلما أصبحت أعلمت أخى بذلك وكنا فى بيعة أبى سرجه أنا وهو وخالى صدقه بن سرور والراهب أبو يعقوب . فلما سمع قولى تعجب وارتعب وأعترف بما خامر قلبه ، وأعلمنا ما كان منه ، ومضى إلى حيث الرأس المقدس وصلى وبكى وسأله الصفح عنه (كتاب ١٢ ص ٢٤ VR) .

وهذا يدحض ما ذهب إليه البعض من أن الرأس لم تكن رأسه بل قيل إنه رأس بطرس خاتم الشهداء كما جاء ذلك عرضاً فى تاريخ انبا يوساب أسقف فوه (ص ١٤٥ V و ١٤٦ R) وهو يعتقد عدم صحة هذا الخبر ويؤمن إيماناً تاماً بأنها رأس القديس مرقس حيث اعترف بذلك صراحة فى قوله << واما رأس مرقس القديس .فكانت عند قوم فخافوا فى نفوسهم فأخرجوها من مكانها وأودعوها مكاناً آخر >> (ص ٩٧ V) وأردف ذلك بقوله << وخافوا على رأس مرقس فجعلوه بين حائطين وبنوا عليها >> (ص ٩٩ R) .

وقال ابن المقفع << ولما قاتل السناسنة القيسيين خافوا على رأس مرقس فجعلوه بين حيطين وبنوا عليه ثم خلص الله المدينة ، وبعد انتهاء الحرب نقلوه إلى مكانه >> وقال أسقف فوه : << إن صبية عذراء رأت مناماً وكأن القديس مرقس يقول لها : << قولى لهم خليتمونى محبوساً بين حائطين >> ففتحوا المكان ونقلوه إلى مكانه وجعلوا قدامه القناديل كالعادة وكانت العجايب لا تنقطع من قبل الرأس المقدس (ص ٩٩ R) وقال بعد ذلك : وكان تاجر رومى قد جاء بقمح إلى الأسكندرية فدفع فى رأس مرقس للمتولى أربعماية دينار (ص ١٠٧ V) ثم قال فى سيرة البابا كيرلس الثانى البطريرك (٦٧) : << وكان البطريرك قد دخل الأسكندرية فطلب خروج رأس مرقس ليقبله فمضوا وأخرجوه من المكان الذى كان فيه مخفيا وإذ بنور عظيم كمثل المشاعل أقام على الرأس والمكان الذى كان فيه تلك الليلة جميعها حتى صاح الناس والجيران المسلمون فظنوا أن النار حرقت الدار ، فلما علموا أنه نور تعجبوا وتحدثوا بذلك ، وأن البطريرك قبله كالعادة (ص ١١٣ R) .

وبعد تكريز البابا مرقس بن زرعه ثالث سبعى البطاركة دخل المدينة وأتى إلى الدار التى فيها رأس القديس مرقس وبات هناك إلى الغد وأخذ مفاتيح صندوق الرأس وفتح الصندوق وأخذ الرأس فى حجره وهو جالس بالقراءة والتسبيح (فوه ١٤٠ V و ١٤١ R) .

وركب البابا كيرلس بن لقلق الثالث فى الأسم والخامس بعد السبعين فى عدد البطـاركة فى نهار الأثنين ٢٤ بؤونه سنة ٩٥٢ ش وخرج إلى دار ابن السكرى التى فيها رأس مرقس الأنجيلى فأخرج له على العادة ، وكان لهذا الرأس ثمـان وأربعون سـنة لم يخرج من موضعه من بعد رسامة البابا يؤانس (٧٤) فوضع الرأس فى حجره وكساه كسوة فاخرة جديدة على جارى العادة (ص ١٤٥ V و ١٤٩ R) ثم أعيدت الرأس إلى الكنيسة المرقسية بالأسكندرية فى زمن لم يعلم تاريخه ، وبعد ذلك لم يردأى ذكر للرأس فى تاريخ البطاركة لإبن المقفع أو لأسقف فوه حتى سيرة البابا بطرس السادس البطريرك ١٠٤ الشهير بالأسيوطى الذى تولى الكرسى من سنة ١٧١٨ إلى سنة ١٧٢٦ ميلادية ورسـموه بطريركاً بكنيسة أبو مرقوره بمصر فى ١٧ مسـرى سنة ١٤٣٤ ش (٢٠ أغسطس سنة ١٧١٨ م) وكان ذلك اليوم جبر النيل بمصر وكان فرح عظيم وبهجة عظيمة . ولما كان فى سنة ١١٣٣ الخراجية توجه هذا الآب إلى مدينة الأسكندرية وزار كنيسة الآب البشير مارمرقس الأنجيلى وأقام بها نحو ستين يوماً فى فرح وسرور وبهجة وجاب معه هدية إلى مارمرقس قنديل فضة ونحو ٢٠ أردب قمح (ذيل ابن المقفع ص ٣٠٢ VR و ٣٠٤ R كتاب ١٥) .

وجاء فى ذيل تاريخ البطاركه لأبى شاكر : « ثم توجه إلى الأسكندرية وقبل رأس مرقس الأنجيلى ولما أراد الرجوع علم أن جماعات بالأسكندرية تكلموا

على الرأس المقدس فأخفاها فى الدير فى ذلك الوقت (كتاب التواريخ ص ٢٤٦ V) وأبطل تقليد احتضان الرأس بعد الرسامة من ذلك العهد .

وبقيت رأس القديس مرقس الطاهرة فى بيعته ولم تخرج من الأسكندرية كما يدعى البعض ، وهى مدفونة فى المقصورة المخصصة لهذا الكاروز العظيم فى الكنيسة المرقسية الكبرى بالمسلة بالأسكندرية إلى وقتنا هذا .

١٠ - جسد القديس مرقس

بقى جسد القديس مرقس الأنجيلى فى مقر كرسيه بالأسكندرية مدة ثمانية قرون محتفظاً به فى دير أسفل الأرض فى حراسة الملكين الخلقيدونيين الذى اختصوا بها دون الرأس إلا أنهم لم يكونوا أمناء فى المحافظة عليه ، كما احتفظ القبط المتأصلون بالرأس من يوم أن استلمها البابا بنيامين من عمرو بن العاص إلى هذا الزمان كما ذكرنا .

ودير أسفل الأرض هو دار البقر التى استشهد بها الطاهر مرقس وجرجر منها بحبل فى رحبة المدينة كلها (أبو المكارم فوليو ٩٤ V) .

وقال أيضاً أبو المكارم : وقد سرق الفرنج البنادقة جسد القديس مرقس وأخذوه إلى البندقية وهو موجود فيها الآن ، ومن حرصهم على صيانته أخذوا عموداً من الرخام وجوفوه وجعلوه فيه وطوقوه بأطواق حديد محكمة وفى كل سنة فى يوم عيده يخرجونه منه بحضور البطاركة والأساقفة وطغمات الكنيسة وجماعة الشعب ويغيرون عليه (فوليو ٩٤ V) .

وقال ابن كبر : « وقيل إن جسده (جسد مرقس) أحرق بالنار ، وقيل إنه لم يزل مدفونا بالبيعة الشرقية التى على شاطىء البحر بالأسكندرية إلى أن احتال بعض الفرنج البنادقة وسرقوا الجسد وتركوا الرأس إلى دار بالأسكندرية تعرف بدار أولاد السكر وهو بها إلى يومنا هذا » (ص ٤١ R) .

وقال مؤرخو الأفرنج إن حراسة الجسد كان موكولا أمرها إلى الراهب ستورجيوس ، ويعاونه فى ذلك القس تيودوروس ، وهما من الملكين لأن الجسد كان فى عهدتهم حتى القرن التاسع فسرقه منهم البندقانيون ســنة ٨٢٩ م غ (٥٤٤ ش) .

١١ - كيفية سرقة جسد القديس مرقس

حضر إلى الأسكندرية فى سنة ٨٢٨ أيام البابا يعقوب البطريرك الخمسين الذى تولى الكرسى من سنة ٨١٩ إلى سنة ٨٣٠ م أيام خلافة عبد الله المأمون قبطانان من مدينة البندقية يدعيان روستيكوس ده ترقيلو وبوموده مالموكو .

Les Tribuns Rustico de Torcello et Bomo de Malmocco

وهما من التجار المشتغلين بالتجارة مع الشرق وكان قدومهما اضطراراً لإرادة الطقس فالتجأ إلى مياه الأسكندرية وقضت الظروف عليهما بأن يقيما فى هذه المدينة ردحاً من الزمن إلى أن يعتدل الطقس فيقلعان منها ، وكانا يترددان مع رجالهما على كنيسة مارمرقس الموجودة فى حى البوكليون الغير بعيدة عن البحر ، وهى كنيسة أسفل الأرض التى فى يد الملكين ويقدمون كل احترام أمام القبر وهم يضمرون أخذ الجثة بالحيلة لأن أخذها بالقوة يثير غضب المسيحيين على اختلاف مذاهبهم ، فقاموا بخدع الحارسين ستورجيوس وتيودوروس اللذين أقامهما الملكيون لحراسة الجثة بعد أن اكتسبوا ثقتهما وقالوا لهما إن هذه الذخيرة الطاهرة معرضة لنجاسة غير المؤمنين وأنه يمكنهم جعلها فى مأمن من التعدى عليها بحفظها فى بلد مسيحية فتكون موضع الأحترام الكلى ، كما انهم يحمونها شخصيا من تعديات المغتصبين فيأخذونها إلى البندقية ويودعونها هناك موقتاً كما هى الآن بالأسكندرية فى موضع الذخائر المقدسة لحين ما يمكن الأطمئنان على وجود الجسد المقدس بالأسكندرية

فيعيدونها اليها . فانخدع الحارسان بهذه الأقاويل المعسولة ، والمواثيق المقدسة التى قدموها ، والوعود الخلابة التى وعدوهم بها ، وسلما جسد القديس مرقس إلى هؤلاء البندقانيين فأخذوه ووضعوه فى صندوق ثم وضعوا عليه لحم خنزير حتى لا يعترضهم عمال الجمارك الذين كانوا من المسلمين خشية أن يتنجسوا من لمس تلك اللحوم المحرمة عندهم ، وبهذه الحيلة والخديعة خرج البندقانيون بغنيمتهم آمنين وذهبوا بها تواً إلى البندقية وسلموها إلى حاكم المدينة يوستنيانوس الذى وضعها فى كنيسة صغيرة فى قصره على أمل أن يقيم لها هيكلا يتناسب مع سمو مركز الرسول العظيم القديس مرقس الأنجيلى ، واتخـــذت دوقية البندقية هذه الذخيرة المقدسة حامية لها ولمدينتها العظيمة البندقية وذلك فى سنة ٨٢٨ ميـــلادية على ما رواه اندريـــا دندولو (Andrea Dandolo) دوق البندقية والمؤرخ المشهور ، وخلاصة القول أن جسد مرقس الأنجيلى بعد أن ظل حوالى الثمانية قرون موجوداً فى مقر كرسيه الأسكندرية حرم منها نهائياً باختلاس من حراسة الملكيين بينما احتفظ القبط المتأصلون بالرأس إلى وقتنا هذا رغم المحاولات العديدة التى عملت لسرقتها واخراجها من مكانها بالاسكندرية ، وهى محفوظة الآن فى مكان خاص بالجهة البحرية الشرقية من الكنيسة المرقسية الحالية تعرف بالمقصورة المجاورة للهيكل البحرى ، ولها باب خاص من الرصيف البحرى وقد علمت من شيوخ الأقباط المتأصلين أى الأرثوذكسيين فى الأسكندرية حسبما تسلمه الآباء عن الأجداد أن الرأس الطاهر وضعت مع جماجم أخرى خاصة بالقديسين فى جرن من رخام ووضعت فى مكانها المذكور حتى لا يمكن الأهتداء اليها ، فلا تمتـد أيدى السراق لسرقتها ، وذلك من أيام البـاب بطرس السادس البطريـرك (١٠٤) .

١٢ – تكريم جسد القديس مرقس فى البندقية

إن مدينة البندقية تعتبر القديس مرقس البشير الكاروز الذى بشرها بالأنجيل المقدس حسب التقليد الموجود عندهم ، وقد خصص الدوق يوستنيانوس كل ثروته لتشييد كنيسة فخمة تحفظ فيها رفات القديس مرقس .

وقد حفظ الجسد بصفة مؤقتة فى الكنيسة المخصصة للدوقات (وهم حكام المدينة) فى القصر العظيم الذى يسكنون فيه ، وأصبح دوق البندقية حارساً له باعتبار مرقس قديس الدولة البندقيانية وشفيع جمهوريتها وحامى دوقياتها واتخذت الدوقية علامة الأنجيلى وهو الأسد المرقسى المجنح شارة للجمهورية .

وقد أعد لحفظ جســـد هذا القديس العظيم كنيـــسة من أفخر وأكبر الكنـــائس وأشهرها فى العالم وتعد تحفة الفن اللومبـــاردى والأستروجوتى وبدىء فى بنائهـــا من سنة ١٠٥٢ فى أيـــام الدوق دومينكو كونتـــــــارينى (Domenico Contarini) وتمت بشكلها الحاضر فى الجيل الثامن عشر للميلاد (دليل البندقية ص ٣٦ و ٣٧) .

١٣ – العلم المرقسى ورمز إنجيله :

إن الحيوانات الأربعة المقدسة التى رآها حزقيال النبى ووصفها فى سفر النبوة المنسوب إليه (١ : ٥) فى العهد القديم وشاهدها يوحنا البشير فى رؤياه ودون وصفاً دقيقاً لها فى سفره فى العهد الجديد قائلاً : « وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيونا من قدام ومن وراء . والحيوان الأول شبه أسد ، والحيوان الثانى شبه عجل ، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان ، والحيوان الرابع شبه نسر طائر . والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيونا ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة : قدوس قدوس الرب الأله

القادر على كل شيء ، الذى كان ، والكائن ، والذى يأتى » (ص ٤ : ٦ - ٨)

وقد أثبت العلامة ايرونيموس أن هذه الحيوانات الأربعة تشير إلى البشائر الأربعة التى كتبها القديسون مرقس ومتى ولوقا ويوحنا .

وقد أشير إلى مرقس بالأسد ، وإلى متى بالإنسان ، وإلى لوقا بالعجل ، وإلى يوحنا بالنسر . ولقد فسر علماء الكنيسة ومعلموها العظام أن نسبة الأسد لمرقس هو لأنه افتتح أنجيله بهتاف الأسد الزائر وهو : « صوت صارخ فى البرية . أعدوا طريق الرب . أجعلوا سبله مستقيمة » (مر ١ : ٣) كما كانت أولى معجزاته الخلاص من الأسد ولبوته . وأن نسبة الإنسان لمتى لأنه صدر أنجيله بخبر ناسوت المسيح ، وأن نسبة العجل للوقا لأنه ابتدأ أنجيله بخبر زكريا الكاهن ، وكانت قرابينه العجول . وإن نسبة النسر ليوحنا لأن فاتحة بشارته ذكرت لاهوت المسيح فسبح على أجنحة النسر المحلق فى السماء وانكشفت له السرائر الألهية ووصفها فى رؤيته الجلية .

وأصبح شعار مرقس فى الكنيسة الجامعة الرسولية رمز الأسد . كما أصبحت صورته مقرونة بالأسد فى كل مكان .

الفصل السادس عشر

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
كرازة مرقسية وليست يعقوبية

قد نسب إلى مسيحيى الشرق نوى الطبيعة الواحدة بعد المجمع الخلقيدونى نعت اليعقوبيين ، ولقب علماء الغرب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالكنيسة اليعقوبية ، وهذا خطأ محض وافتراء لا أساس له من الصحة .

ومصدر هذا النعت هو كنيسة أورشليم وهى التى دعيت بحق يعقوبية لأن رسولها وأول أسقف رسم على كرسيها هو يعقوب أخو الرب ، كما سميت أختها كنيسة الأسكندرية بالمرقسية نسبة لرسولها مرقس البشير ، الذى أسس الكرسى الأسكندرى ، وعرفت فى التاريخ بإسم كنيسة الأسكندرية وبالكرسى الأسكندرى الرسولى .

وقال مرهج بن نمرود المؤرخ السريانى فى كتاب « سلاح الإيمان » إن اليعاقبة سموا بهذا الأسم نسبة لماريعقوب أخى الرب (ص ٤٠) .

وقد نعتت كنيسة انطاكية السريانية الأرثوذكسية بالكنيسة اليعقوبية لأنه فى أيام البطريرك يوحنا الحبيس القبطى وهو الثلاثون فى عدد بطاركة الكرسى الأسكندرى أقيم القديس ساويرس بطريركاً على كرسى انطاكية ، وكان يعلم بتعليم كنيسة الأسكندرية ويؤمن بأمانة القديس ديسقورس الأول بطل الأرثوذكسية وبابا الأسكندرية الخامس عشر ، وكان ذلك فى منتصف القرن

السادس للميلاد ، وبقى ساويرس فى انطاكية إلى خلافة البابا تيموثاوس البطريرك الثانى والثلاثين فالتجأإلى مصر هرباً من الأضطهاد الذى أثاره عليه الخلقيدونيون ذوو عقيدة الطبيعتين فى المسيح ، وسكن فى سخا عند الأرخن القبطى الكريم درتاوس واحتفلت به الكنيسة القبطية ورحبت بمقدمه . وقد خشى ساويرس الأنطاكى أن تتبدد رعيته فأرسل من قبله أسقفاً سريانيا يدعى يعقوب ونعت بالبرادعى لأنه كان يتخفى تحت لباس البردعة وهو ثوب شحاذ . فطاف الأسقف يعقوب فى الشرق يعلم بتعليم كنيسة الأسكندرية ويعلن بوحدة الطبيعة في الأبن الكلمة المتجسد بلا امتزاج ولا اختلاط ولا استحالة ، فتبعه كثيرون من مسيحيى الشرق الأوسط ، عرفوا باليعاقبة نسبة إليه ، وصار هذا الأسم علماً لنصارى المشرق .

وقد عارض السريان فى أمر تسميتهم باليعاقبة نسبة إلى الأسقف يعقوب البرادعى ، بل أنهم دعوا بهذا الأسم نسبة للقديس يعقوب الرسول مؤسس كرسى أورشليم الرسولى وأنهم يتمسكون بقداس مار يعقوب دون غيره من القداسات فى صلواتهم ، ولكنهم فى الحقيقة جديرون بأن يحملوا لقب البطرسيين نسبة لمؤسس كرسيهم الرسول بطرس . وقال مار شمعون مغريان الموصل إن تسمية السريان باليعاقبة وصلت إليهم من أبى الأسباط يعقوب اسرائيل .

أما شعب الكنيسة المصرية كنيسة الكرسى الأسكندرى فليسوا بيعقوبيين بل كانوا يعرفون بالمرقسيين ، وكان يلقب كرسيهم بالكرسى الأسكندرى المرقسى ، ثم أنهم عرفوا فى أواخر الجيل الخامس بإسم الدسقوريين نسبة إلى راعيهم الأجل القديس ديسقورس الأول الذى جاهد جهاد الأبطال فى الذود عن أمانة مجمعى نيقية وأفسس الأول وتعاليم اثناسيوس الرسولى وكيرلس عامود الدين فى أثناء المجمع الخلقيدونى فى أيام مرقيانوس ملك القسطنطينية وحكم عليه بالنفى ، فبقى فى منفاه حتى مات .

ثم دعوا بعد ذلك اتباع ديسقورس بالتاودوسيين نسبة إلى البابا تاودوسيوس البطريرك الثالث والثلاثين الذى تولى الكرسى من سنة ٥٣٦ إلى سنة ٥٦٧ م ، وتعتبره الكنيسة القبطية مجاهداً عظيماً وبطلاً شجاعاً أسوة بالقديس ديسقورس حامي الأرثوذكسية . وقد جاء فى تاريخ البطاركة لأبن المقفع : « إن البابا تاودوسيوس تنيح فى اليوم التاسع والعشرين من بؤونه وأخذ أكليل الغلبة مع جماعة القديسين فى كورة الأحياء إلى الأبد . ونحن المؤمنين الباقين على الأمانة الأرثوذكسية الذين استحقينا أن ندعى تاودوسيين نضرع ونتوسل إلى الله الاب والأبن والروح القدس أن تكون معنا ضمائر روحانية ونثبت حافظين الأمانة المستقيمة (كتاب ١٣ تاريخ R ٧٩) .

وحمل هذا اللقب الأقباط المتأصلون بعد أيام ساويرس الأنطاكى ويعقوب البردعى بزمن كبير ، وهو يثبت عدم صحة نسبة الكنيسة القبطية إلى اليعقوبيين .

ولم يعرف إسم اليعاقبة فى مصر ولم ينسب إلى اقباطها إلا فى عهد الفواطم والأيوبيين عندما رافق كتبة واراخنة القبط جيوش السلاطين الذين فتحوا الشام وبيت المقدس وأشهرهم أولاد العسال ، وقد حضرت إلى مصر بعد هذا الفتح جالية من كتبة السريان وتجارها واتخذت مصر وبعض مدن الوجه البحرى مثل سنباط والقاهرة المعزية والخندق مقراً لها وتقبطت هذه الجالية على ممر الأيام واندمجت فى القبط وفنيت فيهم .

ونظراً لأتفاق السريان ونصارى الشام مع الكنيسة القبطية فى العقيدة وصلت نسبة اليعقوبية بعد الفتح العربى بأربعة أجيال إلى البيعة القبطية للتدليل على وحدة الكنيستين فى الأعتقاد وتوثيقاً لعرى الصداقة بين الكرسى الأنطاكى والكرسى المرقسى ، وكان أول من تحدث بها هو البطريرك الملكى الأسكندرى

افتيخوس الشهير بسعيد بن بطريق فى كتابه حيث دعا نصارى مصر يعاقبه .
ولما اتصل كتابه بالأفرنج دعوا أقباط مصر المتأصلين يعاقبة حيث أطلقوا
عليهم إسم Les Jacobites ولكن هذه التسمية لا تنطبق مطلقاً على الأقباط
بل على نصارى المشرق الموجودين فى بين النهرين ، وفى الهند ، التابعين
للكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، والذين يسوس كنيستهم ويرعاهم بطريرك
خاص يعرف بالبطريرك السريانى الأنطاكى ، إلا أنهم يتحدون مع الأقباط
المتأصلين المستقيمى الرأى فى معتقداتهم وإيمانهم .

ويستخلص مما تقدم أن أقباط مصر هم أول من علموا بالوحدة الجوهرية
ووحدة الطبيعة ، وقام بطاركتهم العظام اثناسيوس وكيرلس وديسقورس
وتاوبوسيوس الذين تعتبرهم الكنيسة ابطالها المجاهدين الكرام قبل السريان ولا
تنطبق عليهم تسمية اليعاقبة التى وقع فى خطئها بعض الكتاب المصريين
وعلماء الأفرنج ولا يعترفون بهذه التسمية لأنهم تشرفوا بانتسابهم إلى كاروزهم
القديس مرقس البشير منذ تأسيسها على يديه .

وستظل حاملة اسمه العظيم إلى إنقضاء الدهر . آمين .

الفصل السابع عشر

رسولية الكرسى الأسكندرى

١ - الكراسى الرسولية .

إن بعض الكراسى الأسقفية قامت عن تأسيس رسولى واتصلت سلسلة الخلافة فيه من الرسول المؤسس للكرسى إلى الأسقف المتولى إدارة الكنيسة ، وسميت هذه الكراسى كراسى رسولية .

وإن الكرسى الذى أسسه القديس مرقس البشير بمدينة الأسكندرية العظمى هو أحد الكراسى الرسولية التى قام بتأسيسها الرسل الأبرار ، وكانت الكراسى الرسولية فى الأصل ثلاثة وهى رومية والأسكندرية وانطاكية ، ثم صارت فى القرن الأول الميلادى ستة كراسى وهى رومية والأسكندرية وانطاكية وأورشليم وافسس وكورنثيوس .

فكرسى رومية أسسه الرسولان بطرس وبولس ، وساعدهما فى تأسيسه مرقس البشير كاروز الديار المصرية ، وكرسى الأسكندرية أسسه الرسول مرقس البشير ، وكرسى انطاكية أسسه بطرس الرسول وكرسى أورشليم أسسه يعقوب الرسول ، وكرسى أفسس أسسه الرسول يوحنا البشير ، وحل محله فيما بعد كرسى القسطنطينية بعد تأسيسها فى أيام الملك قسطنطين الكبير ، وكرسى كورنثيوس أسسه بولس الرسول (المجموع الصفوى ص ٢١ الباب الرابع وتاريخ الأنشقاق ص ٢٥ جزء أول) .

٢ - مساواة رؤساء الكراسى الرسولية فى كافة الحقوق .

وقد إنحصرت حقوق أصحاب هؤلاء الكراسى ، كل واحد منهم فى رعيته التى أقيم عليها ، دون أن يكون لأحد منهم حق المداخلة فى رعية غيره بلا رخصة ولا رضى منه ، وكما كان الرسل القديسون متساوين فى الرتبة الرسولية لا يمتاز أحدهم على الآخر فى شىء ، وكان لكل واحد منهم ما للآخر من السلطان بلا نقص ، حيث كانت درجة المساواة بينهم كاملة . هكذا أصبح خلفاؤهم أيضاً متساوين فى الرتبة الأسقفية لا يمتاز أحدهم على الآخر فى شىء ما ، كما أنهم لم يزالوا هكذا إلى يومنا هذا وإلى إنتهاء الدهر (تاريخ الإنشقاق جزء أول ص ١٧) .

وقد حافظت الكنيسة على هذا النظام كل المحافظة معترفة برأس واحد وهو المسيح رئيس الرعاة العظيم ، ومعتقدة المساواة التامة بين الأساقفة من حيث الدرجة الكهنوتية والحقوق الألهية وقد علم سائر آباء الكنيسة الأقدمين والمؤرخين الكنسيين والمعلمين اللاهوتيين والمجامع العديدة بأن اتحاد الكنيسة يقوم بوحدة الروح الذى فيها وبوحدة رأسها يسوع المسيح ، لا بوحدة شخص منظور . فكما أن المسيح واحد وروح الله فى الكنيسة واحد ، هكذا الكنيسة فى جوهرها وطبيعتها واحدة . أما رعاتها جميعهم فهم من حيث الحق الإلهى متساوون ، إذ أن رئاسة الكهنوت واحدة لا متعددة ، كما أن الكنيسة واحدة جامعة رسولية (تاريخ الإنشقاق ٢ : ١٩ و ٢٠) .

٣ - دائرة اختصاص الكرسى الأسكندرى :

ولقد امتد سلطان الكرسى المرقسى على أفريقيا الشمالية وسواحلها المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط حتى وصلت إلى أسبانيا الجنوبية حيث كان فيها أبرشية مصرية فى الأندلس وطليطلة والمرية (دليل المتحف القبطى جزء ثان ص ٢٦١) .

وقد كانت جزيرتا قبرص ورودس ابرشيتين تابعتين للكرسى الأسكندرى أيضاً حتى الجيلين الرابع عشر والخامس عشر (كتاب مجموع أقوال معلمى البيعة ص ٧٢ – ٨٤) .

هذا فيما يختص بأفريقيا الشمالية وقد تتبع للكرسى فى جنوب أفريقيا أثيوبيا ومقاطعتها والنوبة والسودان حتى خط الإستواء ، وكذلك امتد سلطانه على البحر الأحمر وبعض ممالك جزيرة العرب وتعدى بوغاز باب المندب حتى بلغ ســـواحل الهند وجزيرة ســـومطرا (تاريخ البطاركة لإبن المقفع فى مختلف العصـــور) .

٤ – القاب صاحب الكرسى الأسكندرى .

وكان يحمل الجالس على الكرسى المرقسى الأسكندرى لقب بابا وسيد ورئيس أساقفة مدينة الأسكندرية العظمى وكورة مصر والنوبة والحبشة وبلاد الأقسوميطين وبلاد غلوة وبلاد المقرين (وتكون هذه البلاد مع الحبشة امبراطورية أثيوبيا فى العصر الحاضر مضافاً إليها بلاد الصومال) وليبيا والخمـــس المدن الغربية وأفريقيـــا وبلاد العرب وســـواحل الهند وقبرص ورودس فى العصـــور المسيحية الأولى واضيف إليها فى الجيـــل الثالث عشر مدينة أورشليم (١) .

واقتصر لقب البابا البطريرك الأسكندرى الآن على حمل الألقاب الآتية : –

« بابا وسيد ورئيس أساقفة مدينة الأسكندرية العظمى وكل كورة مصر والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية وليبيا وأورشليم » ، كما هو وارد فى الخولاجى القبطى .

---

(١) أنظر كتب رسامة البطاركة والتذكيات الخاصة بهم .

الفصل الثامن عشر

احياء ذكرى القديس مرقس
فى الكنيسة المصرية

إن جميع الكنائس الرسولية على اختلاف مذاهبها تشترك مع الكنيسة المصرية الأثوذكسية فى الأهتمام بأمر مرقس الرسول الفيلسوف الكبير ، والكاروز العظيم ، والشهيد الأول فى أرض مصر ، وأول بطاركتها ، ومنشىء الكرسى الرسولى الأسكندرى ، وتحيى ذكراه سنوياً .

وتقيم كنيسة الأسكندرية له عيداً يجتمع فيه المؤمنون لأحياء ذكرى من هداهم من الضلال إلى الهدى ، ونقلهم من الظلام إلى النور ، وتشترك كنيسة الأسكندرية اليونانية مع كنيسة الأسكندرية القبطية فى تكريم هذا الرجل الجليل القدر ، العالى الشأن ، هادى الأقطار المصرية وبشيرها .

وتحتفل كنيسة الأسكندرية القبطية الأرثوذكسية الآن لهذا القديس سنوياً بعيدين مشهورين :

أولهما يقع فى اليوم الثلاثين من شهر برمودة القبطى وهو يوم إستشهاده فى السنة الثامنة والستين للميلاد .

وثانيهما يقع فى اليوم الثلاثين من شهر بابه وهو يوم وجود الرأس فى سنة ٣٦٠ ش ٦٤٤ م فى عهد البابا بنيامين الأول الثامن والثلاثين من بطاركة الاسكندرية فى أول الفتح العربى ، كما تقدم ذكره .

وقال الأنبا ساويرس أسقف نستراوه فى الميمر الذى كتبه عن القديس مرقس البشير فى الجيل التاسع للميلاد إن هذا العيد كان لتكريس كنيسة مرقس الرسول التى بنيت على جسده ، وفيه نقلت هامته إلى كنيسة أبى قير ويوحنا بظاهر الأسكندرية (الميمر المطبوع ص ٧٢ و ٧٣) .

خـــاتمة

ما أجدر أن يختتم هذا البحث بذكر ما فاه به القديس بطرس البطريرك السابع عشر خاتم الشهداء عندما مضى للتبرك من جسد القديس مرقس قبل إستشهاده حيث صلى قائلاً : -

« يا أبى الأنجيلى البشير بالسيد المسيح الأبن الوحيد الشاهد بأوجاعه أنت أول شهيد وأول بطريرك كان فى هذا الكرسى ، وأنت ياطاهر ياقديس الذى إصطفاك المسيح القدوس الحقيقى ، وأنت كرزت بإسمه فى كورة مصر وبهذه المدينة (الأسكندرية) والأعمال المحيطة بها ، ونظرت فى الخدمة التى فعلتها وأخذت إكليل الشهادة . ومن أجل ذلك أيها الأنجيلى البطرك والتلميذ الشهيد استحقيت أن تظهر الأيمان بالله الكلمة المخلص السيد يسوع المسيح . وأنت اصطفيت انيانوس الطوياتى لأنه كان مستحقاً ... »

فأنت معلمنا ياسيد فكن معنا ومع أولادك كما أعطاك السيد المسيح ....

والمجد لله دائماً أبدياً آمين .

(ابن المقفع كتاب ١٣ تاريخ ص ٤٨ VR) .

كامل صالح نخلة

الأسكندرى

المــراجع

اولاً– الكتب الخطية :

* تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع تحت رقم ١٢ و ١٣ و ١٥ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية بالقاهرة .

* تاريخ الرسل وكتبة البشاير والرسايل رقم ١ و ٢ و ٣ و ٦ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية بالقاهرة .

* كتاب الأبقطى لاولاد العسال . نسخة خطية بمكتبة الدار البطريركية بالقاهرة .

* تاريخ البطاركة لأنبا يوساب أسقف فوه بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض .

* كتاب التواريخ لأبى شاكر بن الراهب تاريخه ١٠ أمشير سنة ١٣١٠ ش بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض .

* كتاب مصباح الظلمة فى ايضاح الخدمة لشمس الرئاسة ابن كبر تاريخه سنة ١٠٥٩ ش بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض .

* كتاب الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله جرجس بن مسعود تاريخه سنة ٩١٩ ش بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض .

* كتاب أصول الدين ومسموح محصول اليقين لمؤتمن الدولة ابى اسحق بن العسال بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض .

* كتاب البشائر الأربع باللغة العربية مخطوط تاريخه ١٣٢٦ ش بمكتبة كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويلة .

* كتاب تاريخ عمل الميرون رقم ١٠١ بمكتبة الدار البطريركية .

ثانياً - الكتب المطبوعة :

* تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين طبع باريس سنة ١٩٠٤ للعلامة افتس B.Evetts

* تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين طبع هامبورج سنة ١٩١٢ للعلامة سيبولد C.F. Seybold

* السنكسار القبطى طبع باريس لناشره باسيه R. Basset والنسخة المطبوعة فى مصر سنة ١٩٣٥ م .

* تاريـــخ يوحنا النقيوسى طبع باريـــس سنة ١٨٨٩ م لناشره زوتنبرج M. H. Zotenberg باللغة الفرنسية .

* تاريخ سعيد بن بطريق البطريرك الملكى طبع بيروت سنة ١٩٢٤ م .

* كتاب أبى صــــالح الأرمنى طبع اكسفورد سنة ١٨٩٤ م لناشره افتس (أصله كتاب أبو المكارم سعد الله) .

* السنوات الثلاث للمجلة القبطية للبحاثة جرجس فيلوثاوس عوض .

* مجلة الكرمة للاستاذ حبيب جرجس مدير الكلية الاكليريكية .

* تاريخ البطاركة والملوك للراهب البرموسى - طبع القاهرة سنة ١٨٩٨ م .

* الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأسقف ايسوذوروس - طبع القاهرة سنة ١٩٢٣ م .

* تاريخ الكنيـسة القبطية للقمص منسى يوحنــا - طبع القـــاهرة سنة ١٩٢٤ م .

* تاريخ مصر طبع القاهرة سنة ١٩٣٢ م باللغة الفرنسية .

* كتاب تواريخ الأزمنة المسيحية فى مصر واثيوبيا طبع باريس سنة ١٩٢٥ تأليف (M. Chaine) باللغة الفرنسية .

* مروج الأخيار فى تــراجم الأبرار للآباء اليســوعيين - طبع بيروت ســنة ١٨٨٠ م .

* الدر المنظوم للبطريرك مكسيموس مظلوم طبع بيروت سنة ١٨٦٩ .

* الكتاب المقدس (العهدان القديم والجديد) .

* الأثر الذهبى للمرحوم عطيه وهبى طبع مصر سنة ١٩١٥ م .

* المجموع الصفوى طبع التوفيق سنة ١٩٠٨ م لناشره العلامة جرجس فيلوثاوس عوض .

* دائرة المعارف البريطانية باللغة الأنجليزية .

* قاموس لاروس القرن العشرين باللغة الفرنسية .

* الإنســـان والأرض طبع باريس ســـنة ١٩٠٣ م تأليف اليزيه ريكلوس Elysee Reclus باللغة الفرنسية .

* الحضارات الأولى طبع باريس تأليف جوستاف ليبون Gustave Lebon

* مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين طبع بيروت سنة ١٨٨٦ .

* ميمر مرقـــس الرسول لأنبا ساويرس أسقف نستروه طبع باريـس ســنة ١٨٧٧ م .

* تاريخ مرقس الرسول لجمعية الرابطة المسيحية سنة ١٩٠٩ م .

* تاريخ مرقس الرسول للاستاذين حبيب جرجس وكامل جرجس طبع مصر سـنة ١٩٢٧ م .

* جغرافية مصر فى عهد الأقباط للعلامة اميلينو Amelineau طبع باريس سنة ١٨٩٣ م باللغة الفرنسية .

* تاريخ الأمة القبطية وكنيستها تأليف مسزبوتشر (الترجمة العربية) .

* مختصر تاريخ الأمة القبطية تأليف المرحوم سليم سليمان طبع مصر سنة ١٩١٤ م .

* تاريخ الأسكنـدرية القديمة للكونت اسكندر زغيب طبع باريس سنة ١٩١٠ م باللغة الفرنسية .

* خلاصة تـاريخ المسيحية فى مصر للجنة التاريخ القبطى طبع مصر سـنة ١٩٢١ م .

* منتخبات تهذيبية من تاريخ الأمة القبطية طبع مصر سنة ١٩٢٠ م .

* القداسات الثلاثة لناشرها اقلوديوس بك لبيب .

* تاريخ مصر القديمة تأليف شمبوليون فيجاك Champollion Figeac طبع باريس سنة ١٨٣٩ م باللغة الفرنسية .

* عبادة آلهة الأسكندرية تأليف لافاييه G.Lafaye طبع باريس سنة ١٨٨٤ م باللغة الفرنسية .

* مدينة الأسكندرية تأليف بوتى Botti باللغة الفرنسية طبع مصر .

* دليل الأسكندرية تأليف برشيا E.Breccia باللغة الفرنسية طبع مصر

* كتاب شواطىء النيل تأليف أساتذة الأخوية المسيحية (Les Freres) طبع مصر سنة ١٩١٦ باللغة الفرنسية .

* كتاب تاريخ مصر تأليف هند اسكندر عون طبع مصر سنة ١٩١٣ م باللغة العربية .

* تفسير المشرقى للبشائر الأربعة طبع مصر سنة ١٩١٠ م .

* كتـــاب التراجم السنية فى الأعياد المارانية لأبن الحديثى طبع الموصل سـنة ١٨٧٣ .

* كتـــاب مجموع أقوال معلمى البيعة بمكتبة العلامـــة جرجس فيلوثاوس عوض .

* كتـــاب سلاح الإيمان لموهج بن نمرود السريانى .

* مجلة صهيون السنة ٥٢ .

محتويات الكتاب

المقـــدمة ٥

تمهيد : الأسكندرية - نشأتها وتاريخها ومركزها علمياً وتجارياً ٧

١ - تأسيس المدينة ٨

٢ - نظام الحكم فى العاصمة الجديدة ١١

٣ - تاريخ عهد البطالسة فى مصر ١٢

٤ - العلوم والآداب فى الأسكندرية ١٨

٥ - الرواق أو جامعة الأسكندرية ١٩

٦ - مكتبة الأسكندرية ٢٢

٧ - حديقة الحيوان والنبات ٢٤

٨ - أشهر الآثار فى مدينة الأسكندرية ٢٤

٩ - الأسكندرية وقت ظهور المسيح ٢٥

دخول الديانة المسيحية أرض مصر ٢٨

الفصـــل الأول

الديانات التى كانت بمصر قبل المسيحية ٢٩

الفصـــل الثـانى

مرقس البشير ٣١

١ – عائلة مرقس البشير ٣٢

٢ – تاريخ ومحل ميلاده ٣٦

٣ – نشأته وتعليمه ٣٧

٤ – اتصال مرقس بالسيد المسيح ٣٨

الفصـــل الثـالث

اعتناق عائلة مرقس الديانة المسيحية ٤١

الأعجوبة الأولى للقديس مرقس ٤١

الأعجوبة الثانية « « ٤٢

الفصـــل الـرابع

اشتراك القديس مرقس فى الكرازة مع الرسل ٤٥

الفصـــل الخـامس

أنفراد مرقس بالكرازة ٤٩

١ – بشارة الخمس المدن الغربية ٥١

٢ – جغرافية الخمس المدن الغربية ٥١

٣ – أعمال مرقس فى ٥٣

٤ – مجيء القديس مرقس إلى الديار المصرية ٥٣

الفصل السادس

إستعداد مصر لقبول المسيحية ٥٦
١ - أبوللس الأسكندرى ٥٧
٢ - لوقا البشير والعزيز ثاوفيلس ٥٧
٣ - الرسول سمعان القانوى ٥٩

الفصل السابع

الديانة المصرية القديمة ٦١
١ - دين وحدانى وليس وثنى ٦٢
٢ - حقيقة وحدانية الاله فى الديانة المصرية ٦٤
٣ - عقيدة التثليث فى الديانة المصرية ٦٥
٤ - عقيدة البعث والخلود والثواب والعقاب ٦٥
٥ - معمودية التوبة والتطهير والرش والغسل ٦٦
(أ) معمودية التوبة أو الغسل بالماء ٦٦
(ب) التطهير برش الماء ٦٦
(جـ) تقديس المياه ٦٧
٦ - علامة الألوهية ٦٧
٧ - نبوة مجيء المسيح على الأرض وميلاده العجيب ٦٧
٨ - الخلاصة النهائية ٦٨

الفصـــل الثامـن

بدء الكرازة بالأنجيل فى الديار المصرية ٦٩
١ – مذبح للرب فى وسط أرض مصر ٦٩
٢ – مجيء القديس مرقس إلى مصر بالهام الروح القدس ٦٩
٣ – نجاح مرقس البشير فى الديار المصرية ٧٠
٤ – ارشاد أنيانوس الإسكافى ٧١
٥ – تأسيس الكنيسة المسيحية فى الأسكندرية ٧٢
٦ – تطور أخلاق المصريين بعد الإيمان ٧٣

الفصـــل التــاسع

تأسيس الكرسى الإسكندرى وتعيين بطاركته ٧٥
١ – إقامة المجمع الإسكندرى ٧٥
٢ – رسامة البطاركة ٧٦
٣ – الرتب الكهنوتية فى الكنيسة ٧٨
٤ – اختيار البطاركة ٨٠
٥ – تلقيب البطريرك الإسكندرى بالبابا ٨١
٦ – بابا الكرازة المرقسية هو أسقف مدينة الإسكندرية ٨٣

الفصل العاشر

إستئناف أعمال مرقس مع الرسل ٨٣

الفصل الحادى عشر

عودة القديس مرقس إلى الديار المصرية ٨٤
١ - تكريس بناء الكنيسة الأولى المسيحية بالإسكندرية ٨٤
٢ - القداس المرقسى ٨٦
٣ - إنجيل مرقس البشير ٨٧
٤ - المدرسة اللاهوتية المسيحية ٩٤
٥ - قوانين الدسقولية ٩٤

الفصل الثانى عشر

عودة مرقس إلى الخمس المدن الغربية ٩٦

الفصل الثالث عشر

عودة مرقس إلى الإسكندرية ٩٧
١ - أحوال البيعة عند عودته ٩٧
٢ - احتفال مرقس بعيد الفصح ٩٧

٣ – القبض على مرقس وتعذيبه ٩٨
٤ – رؤيا مرقس فى الأعتقال ٩٨

الفصل الرابع عشر

نهاية حياة القديس مرقس ١٠٠
١ – استشهادالقديس مرقس ١٠٠
٢ – حريق جسدالقديس مرقس ونجاته ١٠٠
٣ – تجنيز ودفن جسد مرقس ١٠١
٤ – تاريخ نياحة القديس مرقس ١٠١

الفصل الخامس عشر

مسائل عامة ١٠٣
١ – ولاية أنيانوس فى حياة مرقس ١٠٣
٢ – ادعـــاءات روميه عن رئاسة بطرس للكنيســـة الجامعة ١٠٥
وتأسيسه الكرسى الإسكندرى ....
٣ – مدة إقامة مرقس البشير على الكرسى الإسكندرى ١٠٩
٤ – مقبرة مرقس الأنجيلى ١١١
٥ – تاريخ كنيسة مارمرقس من الفتح العربى ١١٤
٦ – قنديل كنيسة مارمرقس ١١٦
٧ – قسمة الكنائس وجسد القديس مرقس ١١٦
٨ – تقاليد الأحتفال برسامة البطاركة فى الإسكندرية ١١٨

٩ - رأس مرقس الرسول وتقليد احتضانها ١١٩
١٠ - جسد القديس مرقس ١٢٤
١١ - كيفية سرقة جسد القديس مرقس ١٢٥
١٢ - تكريم جسد القديس مرقس فى البندقية ١٢٧
١٣ - العلم المرقسى ورمز إنجيله ١٢٨

الفصـــل الســادس عشر

الكنيسة القبطية كرازة مرقسية وليست يعقوبية ١٣٠

الفصـــل الســابع عشر

رسولية الكرسى الإسكندرى ١٣٣
١ - الكراسى الرسولية ١٣٣
٢ - مساواة رؤساء الكراسى الرسولية فى كافة الحقوق ١٣٤
٣ - دائرة اختصاص الكرسى الإسكندرى ١٣٤
٤ - ألقاب صاحب الكرسى الإسكندرى ١٣٥

الفصـــل الثـامـن عشر

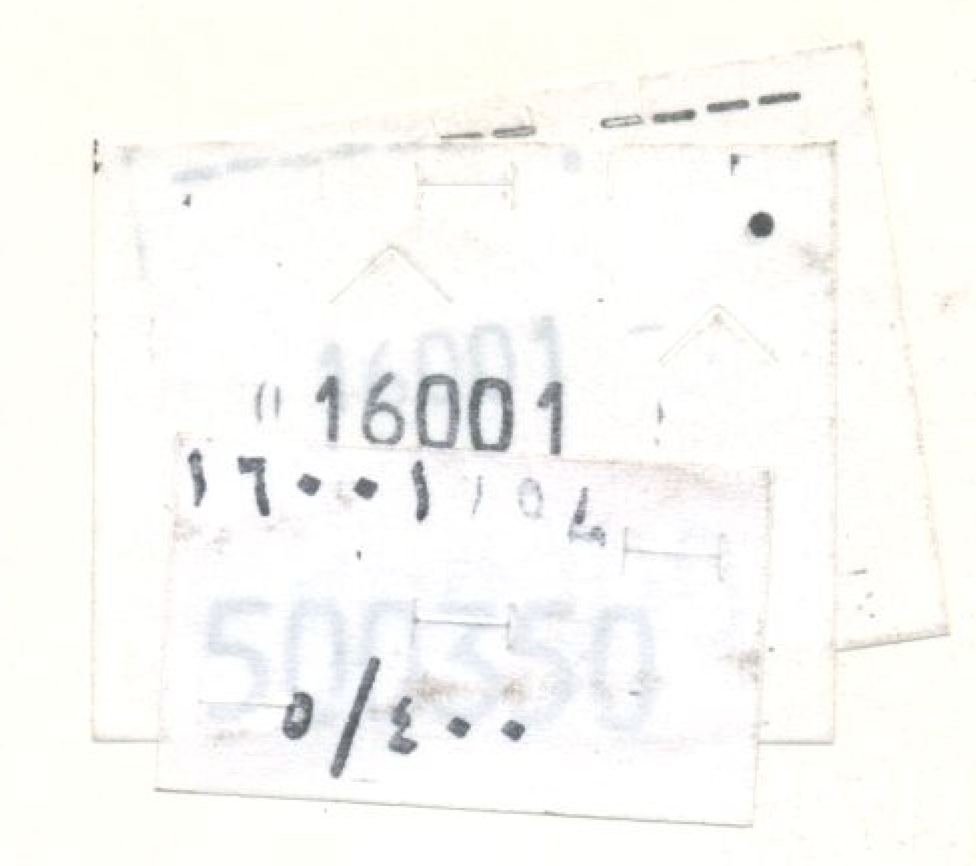
احياء ذكرى القديس مرقس فى الكنيسة المصرية ١٣٦
خاتمة ١٣٨
المراجع ١٣٩

للمؤلف

تاريخ البابا بنيامين الأول البطريرك ال ٣٨
والفتح العربي لمصر وقيرش المقوقس البطريرك الملكى
تاريخ حياة البابا بطرس الأول البطريرك السابع عشر خاتم الشهداء
سيرة البابا غبريال بن تريك البطريرك السبعين
تاريخ يوحنا المعمدان
تاريخ مارمرقس البشير كاروز الديار المصرية
وتأسيس الكرسى الإسكندرى
جدول تاريخ البطاركة
الجنرال يعقوب واستغلال مصر
منتخبات تهذيبية من تاريخ الأمة القبطية
تاريخ الأمة القبطية – جزء ثان

رقم الإيداع : ٣٤٧١ / ٨٩

القاهرة الحديثة للطباعة
احمد بهى الدين الخربوطلى
٢ شارع الجد بالفجالة
تليفون : ٩٢٤٣١٠





MAHABA BOOKSHOP



مكتبة المحبة

٢١ ش البعثة بجزيرة بدران ـ شبرا ـ ت ٧٧٧٤٤٨ ـ س.ت ١٤٧٠٧١ ـ ص.ب ١٢ قصورة الشواه